سلسلة الفتوحات العزمية

(٩)

العقائد الوثنية والشرائع السماوية

الجزء الأول

لجنة البحوث والدراسات
بالطريقة العزمية

جميع حقوق الطبع والنشر والتصوير
والاقتباس والترجمة والنقل محفوظة

الطبعة الأولى
ربيع الثانى ١٤٢٦هـ - مايو ٢٠٠٥م

رقم الإيداع
٨٣٠٤ / ٢٠٠٥ .

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
الافتتاحيـــــة	٤
الفصل الأول : التثليث عند الوثنيين	٩١
الفصل الثانى : التثليث عند بعض النصارى	١٠٩
– أقوال المبشرين فى عقيـدة الثـالوث ودفاعهم عنها	
– أمثلة المبشرين على صـحة نظريـة الثالوث والرد عليها	
– أدلة المبشرين علـى إثبـات عقيـدة الثالوث ونقضها	
الفصل الثالث : التثليث عند بعض المسلمين	
الأمة والتنزيه	
تكفير الأمة باسم التوحيد	
الرد على المكفرين باسم التوحيد	
التثليث الوهابى	
الخاتمـــــة :	

الافتتاحية

الحمد لله الذى لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصى نعماءه العادون، ولا يؤدى حقه المجتهدون، الذى لا يدركه بعـد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، الذى لـيس لـصفته حـد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معـدود، ولا أجـل ممدود. فطر الخلائق بقدرته، ونشر الرياح برحمته، ووتد بالصخور ميدان أرضه.

أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمـال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة. مـن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده، ومن قال فيم فقد ضمنه، ومن قال علام فقد أخلى منه. كـائن لاعـن حدث، موجود لا عن عدم. مع كل شـيء لا بمقارنـة،

وغير كل شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحد إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده.

والصلاة والسلام عل مظهر الحقائق الإحسانية، ومصدر الصور الإلهية، وزيت الزجاجة المثالية النورانية، المنزهة فى حيطتها عن الشرقية والغربية سيدنا ومولانا محمد.. اللهم صل وسلم وبارك عليه وآله صلاة تدخلنا بها مدينة معرفته، وتسقينا بها من رحيق حوضه، وتطهر بها ظاهرنا وباطننا حتى يناولنا بيمينه الشريفة راح الإحسان من كوثره.. أما بعد:

لقد فشا فى الأمة الإسلامية وباء رهيب، ينفث فى ربوعها مزيداً من التفرق والتمزق.. بزعم أن هذا من الصحوة الدينية والمد الإسلامى!!.

وقد راجت سوق صيارف هذا الوباء بالعملات الزائفة مما يسمونه الشرك، والكفر، والوثنية، والردة، وزعموا لأنفسهم أنهم وحدهم (أهل التوحيد) وليس كذلك أحد

غيرهم!!.

ولذا استحلوا دماء بقية المسلمين وأموالهم وأعراضهم باسم التوحيد والسنة مرة، ثم باسم مكافحة الشرك والبدعة أخرى، بعد أن نقلوا أحكام الفرض على النفل، وسحبوا على العادات حكم العبادات، وتغالوا بما لا يقبله عقل ولا دين، فجعلوا دار الإسلام دار حرب وفتنة، وجعلوا غيرهم من المسلمين كفاراً ومشركين، لا عهد لهم ولا ذمة.

ولا تجد فى دنيا التكفير والتشريك، والإرهاب والتخريب، وإثارة الفتن، وتفريق الأمة، إلا متمسلفاً مجازفاً مستأجراً، أو متعالماً يتفجر جهلاً وصلفاً وبذاءة، ويتطاول بطبيعته العدوانية على كل من لم يكن من قبيله، ولو كان من أفضل الناس، ولا يستحى أن يجاهر بأن له حق توزيع مقاعد الجنة والنار على هواه، بين خلق الله، كأنما هو وصى على الله (نستغفر الله ونتوب إليه).

وقد جعلوا من خصائصهم الانفراد الدائم بالعبوس والنكد والجهامة، والتقطيب والغضب والغطرسة والعنف،

والتفاخر بالغلظة والفظاظة، وبداوة الجاهلية فى جو انفرادى مستغلق مبهم.

ألا ترى كيف يخرجون المرأة من بيتها، ويسرقونها من زوجها الشرعى، ومن أولادها، بدعوى أن هذا الزوج كافر، فعقد زواجها الأول باطل (عندهم)، واستمرار هذا الزواج هو الزنى المحرم (عندهم)، ثم هم يزوجونها واحداً منهم بطريقتهم بلا وثيقة لأنها بدعة (عندهم)، وذلك دون أن تطلق من الزوج الأول، وهى قد تحمل من الثانى وتلد له، ثم يقولون هذا هو الإسلام السلفى!! وليس هذا بغريب على من يتعبدون الله بقتل الأبرياء من الرجال والأطفال والنساء، ويخربون البيوت، ويدمرون الدولة بالأوهام والعمالة!!.

وبكل جرأة سمّوا مساجدهم مساجد (التوحيد) وهم يعلنون ذلك ويكررونه، ومعنى هذا أن بقية مساجد المسلمين إنما هى مساجد شرك ووثنية، لا تصح فيها صلاة (برغم أنهم يقولون بصحة الصلاة الإسلامية فى الكنائس) فتكون

الكنائس (عندهم) أفضل من المساجد وخصوصاً مساجد الأولياء والصالحين (لاحظ).

ومن المضحك المبكى فى آن واحد، ما يشيعونه بين الناس من تحريم (خميرة العجين)، ونجاسة الثوب المعطر بغير الزيوت، وتحريم استعمال الخل الموجود بالأسواق، والطرق المسفلتة، والخيار، وتكفير حليق اللحية، وتشريك زوار روضات الصالحين، وبطلان الصلاة خلف مقلدى المذاهب الأربعة، واستحلال دماء الصوفية بلا حدود أو قيود، بالإضافة إلى توافه أخرى لا تعد ولا تحصى منها: نزع صفة المسلم عمن لم يقبل فتاوى علماء البترول الذين يبيحون استثمار الأموال فى أوربا وأمريكا بما فيها من شبهات ذاتية وربوية، ومن أرباح هذه الأموال يمول الغرب الصليبى وإسرائيل، بكل ما يذل العرب والمسلمين، كما نعلم ونحس ونرى.

والتحليل النفسى لهذا التشدد والتزمت يؤكد أن سببه ضحالة العلم، أو محدودية المعرفة، وقد يكون أثر حدة

الطبع الغريزى فى صاحبه، أو من عقدة الشعور بالإهمال أو النقص أو التفاهة، وقد يكون السبب هو السذاجة أو الغرور والغفلة، بل قد يكون للغيرة الحقيقية على الدين، ولكن باندفاع بعيد عن الحكمة والكياسة وبعد النظر، أو يكون طلباً للعيش بمجاراة من يكون التشدد طريقاً إليهم أو شعاراً لهم أو حرفة عندهم، أو تجارة أو عمالة بينهم، أو غير ذلك من الأسباب الكثيرة المختلفة.

ومن المؤسف المخزى من آثار هذه الكبوة أنهم خوف الشرك حولوا بيت السيدة خديجة فى مكة إلى مراحيض، ومكان ولادة الرسول ﷺ إلى مكتبة ثم إلى ميدان للطريق العام، وهدموا قباب عشرة آلاف صحابى بالبقيع، فى حين حافظوا على حصن كعب بن الأشرف اليهودى بالمدينة.. وحافظوا أيضاً على حصون اليهود بخيبر.. وهذا بيان خطير خفى على أكثرية المسلمين (تأمل).

وهل رأيت لوثة غلٍّ فتاك، كالذى يحمله أولئك على الرسول وأهل بيته ﷺ، ثم على أولياء الله فيحرمون ما

أحل الله من زيارة روضاتهم، ويتصايحون بوجوب هدمها وإزالتها بوصفها أوثاناً عندهم، حتى أنهم ليعتبرون أن السفر لزيارة روضة سيدنا رسول الله ﷺ، سفر معصية لا تقصر فيه الصلاة، بل يؤدب فاعله.. كما قرروا من قبل أن رسول الله ﷺ يذنب ويخطئ فليس بمعصوم قط، وأنه لم يكن أكثر من (طارش) يعنى (ساعى بريد) وأنه فى قبره (رمة بالية) والتوسل به إلى الله وثنية!! راجع هذه السفالات مفصلة فى كتبهم ومجلاتهم[1].

كما قالوا: إن الرأس المنسوبة إلى الإمام الحسين بمصر هى رأس يهودى، والصلاة بمسجده أو مسجد غيره من آل البيت أو الأولياء باطلة فاسدة إن لم تكن عندهم شركاً

---

١) قامت لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية بالرد على هذه القضايا فى الكتاب السابق رقم (٨) من هذه السلسلة المباركة.

ووثنية[١].

ولعل المفاجأة بالنسبة لهم تكمن فى أن شيخهم ابن تيمية نفسه كان إذا جاء إلى القاهرة جعل أكثر صلواته بالجامع الأزهر، على ما فيه من القبور!! واقرأ إن شئت تاريخ تأسيس الأزهر وتطور أبنيته وملحقاته لتتأكد مما نقول.

لذلك رأت لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية ضرورة البحث فى حقيقة توحيد هؤلاء الوهابية، ومن أين لهم هذه الجرأة فى تكفير وتشريك وتحقير وتبديع أهل (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، فكانت المفاجأة الكبرى- التى حوتها صفحات هذا الكتاب الخطير- هى عقيدة التثليث، التى لم تخل عقيدة وثنية منها، وأيضاً دخلت عقيدة بعض النصارى، وحاول ابن تيمية جاهداً أن يدخلها فى عقيدة المسلمين فعجز عن ذلك فاكتفى بتقسيم التوحيد إلى قسمين هما: توحيد الألوهية (الآب) وتوحيد الربوبية

١) راجع الرسائل الثلاث لابن تيمية بتعليق حامد الفقى مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر.

(الابن)، وجاء محمد بن عبد الوهاب فى القرن الثانى عشر الهجرى بما عجز عنه ابن تيمية، ورسخ عقيدة التثليث بإضافة توحيد الأسماء والصفات (الروح القدس).

لذلك يجب على الأمة أن تنتبه لهذا البلاء العظيم، لأن هذا السلوك المريب هو السبب فيما وصلت إليه الأمة من هوان؟ وقد حان موعد الحساب، لاجتثاث هذه الشجرة الخبيثة من فوق الأرض، وحتى لا يبقى لها قرار.

والله ولى التوفيق والهادى إلى سواء السبيل، وإليه المصير، وعليه التكلان، والله غالب على أمره.

لجنة البحوث والدراسات
بالطريقة العزمية

الفصل الأول

التثليث عند الوثنيين[١]

لقد أصبح من الحقائق المؤكدة، أن الأمم الوثنية كثيرة التشابه جدا، وأسبابها عديدة، ولما كانت إحدى أمم التاريخ المهمة تنتشر فى الأرض، كانت تنتشر ديانتها وعلومها معها، وبالوقت نفسه يدخل فى معتقدها أشياء من المعتقدات الأخرى، ونظرا لما كان كانت عليه الأمم القديمة من الجهل، كانت تقبل بغير تردد ما تقوله لها كهنتها، وكان إذا قام أحد رجال الدين بدين جديد (وفى الحقيقة ليس بجديد، بل أخذه عن فرقة أخرى من الوثنية)، كان يزيد عليه بعض عقائد أمته ليسهل لهم قبول كل ما كان يقوله.

وقد قال برتشيرد فى كتابه خرافات المصريين الوثنيين

١) راجع كتاب (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية) لمحمد طاهر التنير، ط. بيروت ١٩١٢، ص ٣٠-٤٨.

ص ٢٨٥: (لا تخلو كافة الأبحاث الدينية المأخوذة عن مصادر شرقية من ذكر أحد أنواع التثليث أو التولد الثلاثى (أى الأب والابن وروح القدس).

وقال موريس فى كتاب الآثار الهندية القديمة مجلد ٦ ص ٣٠: (كان عند أكثر الأمم البائدة الوثنية تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت الثالوثى (أى أن الإله ذو ثلاثة أقانيم).

وجاء فى كتاب (سكان أوروبا الأول) ص ١٩٧: (كان الوثنيون القدماء يعتقدون بأن الإله واحد، ولكنه ذو ثلاثة أقانيم).

التثليث عند الهنود:

وقال العلامة دوان فى كتابه خرافات التوراة وما يماثلها فى الديانات الأخرى ص ٣٦٦: (إذا أرجعنا البصر نحو الهند، نرى أن أعظم وأشهر عبادتهم اللاهوتية هو التثليث) (أى القول بأن الإله ذو ثلاثة أقانيم).

ويدعون هذا التعليم بلغتهم (ترى مورتى) وهى جملة مركبة من كلمتين سنسكريتيتين، أما (ترى) فمعناها ثلاثة، و (مورتى) معناها هيئات أو أقانيم، وهى (براهما وفشنو وسيفا)، ثلاثة أقانيم غير منفكين عن الوحدة، وهى الرب والمخلص وسيفا، ومجموع هذه الثلاثة أقانيم إله واحد، ويرمزون عن هذه الأقانيم الثلاثة بثلاثة أحرف، وهى الألف والواو والميم، ويلفظونها (أوم)، ولا ينطقون بها إلا فى صلاتهم، ويحترمون رمزها فى معابدهم احتراما عظيماً، ولما أراد براهما[1] (خالق الوجود الذى لا شكل له، ولا تؤثر فيه الصفات) أن يخلق الخلق، اتخذ صفة الفعل، وصار شخصا ذكرا، وهو براهما الخالق، ثم زاد فى العمل فانقلب إلى الصفة الثانية من الوجود، فكان فشنو الحافظ، ثم انقلب إلى الصفة الثالثة الظلالية فكان سيفا المهلك، ويدعون هذه الصفات الثلاث أيضا ترى

١) براهمان تعنى: روح العالم غير المشخصة، ويجب تمييزها عن لفظة براهما الذى هو أكثر منها تشخصاً.

D:\كتب\الوهابية\٠٩doc.

مورتى، أى الأقانيم الثلاثة، ويشبهونها بالنار، ويدعونها أيضا (ألنى وسوريا وأندرا) وغير ذلك من الأسماء الثلاثية.

وجاء فى كتب البرهميين المقدسة المعتبرة لديهم، أن هذا الثالوث المقدس غير منقسم فى الجوهر والفعل والامتزاج، ويوضحه بقولهم:

– براهما: الممثل لمبادئ التكوين والخلق، ولا يزال خلاقا إلهيا هو الأب.

– وفشنو: يمثل مبادئ الحماية والحفظ، وهو الابن المنفك والمنقلب عن الحال اللاهوتية.

– وسيفا: المبدىء والمهلك والمبيد والمعيد، (وهو روح القدس)، ويدعونه كرشنا الرب المخلص، والروح العظيم، حافظ العالم المنبثق (أى المتولد منه) فشنو الإله الذى ظهر بالناسوت على الأرض، ليخلص الناس، فهو أحد الأقانيم الثلاثة التى هى الإله الواحد.

وجاء فى (الكبيتا) وهو أحد كتبهم المقدسة الدينية أن كرشنا قال: (أنا رب المخلوقات جميعها، أنا سر الألف والواو والميم (أوم) أنا براهما وفشنو وسيفا التى هى ثلاثة آلهة إله واحد).

فالإقنوم الثالث، وهو فى صفته المظلمة (المهلك)، وفى صفته الحسنة (المعيد) يعبرون عنه بصورة حمامة، ويقصدون بهذه الصورة الرمز عن الإعادة والخلق الجديد، وهو الروح الذى يرف على وجه الماء، ويعبرون عن الأقانيم الثلاثة الأبدية الجوهرية، بالألف والواو والميم (أوم) كما ذكرنا، ويقولون عن هذه الأقانيم الثلاثة: الخلاق والحافظ والمهلك. وأنها تتناوب العمل، أى: أن الابن يعمل عمل الأب وروح القدس، وروح القدس يعمل عمل الأب والابن، والأب يعمل عمل الابن وروح القدس.

D:\كتب\الوهابية\٠٩doc.

قال ألن فى كتابه الهند ص ٣٨٢: (يقول البرهميون فى كتبهم الدينية: إن أحد الأتقياء، واسمه أتنيس، رأى أنه من الواجب أن تكون العبادة لإله واحد فتوسل ببراهما وفشنو وسيفا قائلا: يا أيها الأرباب الثلاثة، اعلموا أنى أعترف بوجود إله واحد، فأخبرونى أيكم الإله الحقيقى، لأقرب له نذرى وصلاتى، فظهرت الآلهة الثلاثة، وقالوا له: اعلم يا أيها العابد أنه لا يوجد فرق حقيقى بيننا، وأما ما تراه من ثلاثة، فما هو إلا بالشبه أو بالشكل، والكائن الواحد الظاهر بالأقانيم الثلاثة هو واحد بالذات).

الثالوث المقدس عند الهنود وهذا التمثال موجود فى معرض فى الهند

قال العلامة موريس فى كتابه آثار الهند القديمة مجلد ٤ ص ٣٧٢: (لقد وجدنا بأنقاض هيكل قديم دكه مرور القرون، صنما له ثلاثة رؤوس على جسد واحد والمقصود منه التعبير عن الثالوث).

قال المستر هلسلى ستيفنس فى كتابه الإيمان والعقل ص ٧٨: (ويعتقد الهنود بإله مثلث الأقانيم، ومتى ودوا التكلم عنه بصفة الخلاق يقولون: (الإله براهما)، ومتى رامو التكلم عنه بصفة (المهلك) يقولون: (سيفا) أو (مهديفا)، ومتى أرادوا وصفه بصفة (الحافظ) يقولون: (الإله فشنو)، ويقولون: إن هذا الثالوث المقدس حاضر فى كل مكان بالروح والقدرة.

التثليث عند البوذيين:

قال المستر فابر فى كتابه أصل الوثنية: (وكما نجد عند الهنود ثالوثا مؤلفاً من براهما وفشنو وسيفا ، هكذا نجد

عند البوذيين فإنهم يقولون: إن بوذا[١] إله، ويقولون بأقانيمه الثلاثة، وكذلك بوذى جينست يقولون عن جيفا: إنه مثلث الأقانيم.

قال العلامة دوان ص ٣٧٢: (البوذيون الذين هم أكثر سكان الصين واليابان، يعبدون إلها مثلث الأقانيم، يسمونه (فو)، ومتى ودوا ذكر هذا الثالوث المقدس، يقولون: الثالوث النقى (فو) ويصورونه فى هياكلهم بشكل الأصنام التى وجدت فى الهند، ويقولون أيضا: فو واحد، لكنه ذو

---

١) مؤسس البوذية هو: غوماتا سيدهانا (٥٦٤ – ٤٨٣ ق.م) الذى دعى بوذا، أى: المستنير، أو الذى اهتدى، وكان ابن أمير = منطقة على حدود نيبال، فتنكر لسلطة الفيدا والكهنة والبراهمة، وقرر قواعد خلقية خمساً، وهى بمثابة الوصايا، وهى:

١) لا يقتلن أحد كائنا حياً. ٢) لا يأخذ أحد ما لم يعطه.
٣) لا يقولن أحد كذباً. ٤) لا يشرب أحد مسكراً.
٥) لا يقيمن أحد على دنس.

وكانت عقيدة بوذا التى يؤمن بصدقها هى: أن الألم أرجح كفة من اللذة فى الحياة الإنسانية.. (قصة الحضارة، ٧٦/٣).

ثلاثة أشكال، ويوجد فى أحد المعابد المختصة ببوتالا فى منشورية تمثال (فو) مثلث الأقانيم.

وقال المستر فابر فى كتابه الصين المجلد ٢ ص ١١، ١٠١ و١٠٣: (والصينيون يعبدون بوذا ويسمونه (فو) ويقولون: إنه ذو ثلاثة أقانيم، والألف والواو والميم كما تقول الهنود تماما).

قال العلامة دوان ص ١٧٢: (وأنصار لاوكومتذا- وهو الفيلسوف الصينى المشهور وكان قبل المسيح (عليه السلام) بأربع سنين وستمائة- يدعون (شيعة تاوو) ويعبدون إلها مثلث الأقانيم، وأساس تعليم فلسفته اللاهوتية أن تاوو، وهو العقل الأبدى انبثق منه واحد، ومن هذا الواحد انبثق ثان، ومن الثانى انبثق ثالث، ومن هذه الثلاثة صدر كل شئ، وهذا القول بالتوليد أدهش العلامة موريس لأن قائله وثنى).

التثليث عند قدماء المصريين:

والمصريون القدماء كانوا يعبدون إلها مثلث الأقانيم، مصورا فى أقدم هياكلهم، ويظن أهل العلم أن الرمز الذى يصورونه، وهو جناح طير ووكر أفعى، إن هو إلا إشارة عن ذلك الثالوث واختلاف صفاته[1].

قال توما أنمن فى كتابه الوثنيون القدماء ص ١٠١: (وكافة الرموز والإشارات المستعملة عند النصارى، كانت للدلالة على عبادة أشياء يخجل منها، وليس بالإمكان نكران حقائقها)، ثم قال: (أتأمل أنه متى عرف الناس معانيها يتركونها، ولربما يبقى بعض الناس متمسكين بهذه العبادة التى هى عندى قبيحة ووثنية).

وقد ذكر فى كتابه أموراً عديدة ذات بال، سكتنا عن ذكرها، ولم نضع إحدى الصور التى جاءت فيه، فقد ينشأ

---

١) فى الديانة المصرية القديمة: (جب) إله الأرض تزوج (نوت) إلهة السماء، وأنجبا (رع) أى الشمس، أنظر: تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص١٢٤، للأستاذ عبد العزيز عثمان.

عنها مس إحساس كثير من الناس.

قال العلامة دوان ص ٤٧٣: (وكان قسيسو هيكل ممفيس بمصر، يعبرون عن الثالوث المقدس للمبتدئين بتعلم الدين بقولهم: إن الأول خلق الثانى، والثانى مع الأول خلقا الثالث، وبذلك تم الثالوث المقدس).

وسأل توليسو ملك مصر الكاهن تنيشوكى أن يخبره هل كان قبله أحد أعظم منه، أو هل يكون بعده من هو أعظم؟ فقال له الكاهن: (نعم)، يوجد من هو أعظم وهو أولا الله، ثم الكلمة، ومعهما روح القدس، ولهؤلاء الثلاثة طبيعة واحدة، وهم واحد بالذات، وعنهم صدرت القوة الأبدية، فاذهب يا فانى يا صاحب الحياة القصيرة).

لا ريب أن تسمية الأقنوم الثانى من الثالوث المقدس- كلمة- هو من أصل وثنى مصرى، دخل فى غيره من الديانات كالديانة النصرانية، وأبولو المدفون بدلهى يدعى- الكلمة- وفى علم اللاهوت الإسكندرى الذى كان يعلمه بلاتو قبل المسيح بسنين عديدة- الكلمة هى الإله

الثانى- ويدعى أيضا ابن الله البكر (الآثار الهندية لموريس ص ١٢٧).

وقال العلامة هيجن فى كتابه الأنكلو سكسنس مجلد ٢ ص ١٦٢: (كان الفرس يدعون متروسا- الكلمة- و- الوسيط- و- مخلص الفرس- (أنظر كذلك كتاب المسيو دونلاب ابن الإنسان ص ٢٠، وكتاب العلامة بنسين المسيح الملاك ص ٥٧).

قال العلامة بونويك فى كتابه اعتقاد المصريين ص ٤٠٢: (وأغرب عقيدة عم انتشارها فى ديانة المصريين (الوثنيين القدماء) هى قولهم: (بلاهوت الكلمة) وأن كل شئ صار بواسطتها، وأنها (أى الكلمة) منبثقة من الله وأنها الله، وكان بلاتو عارفا بهذه العقيدة الوثنية، وكذلك أرسطو وغيرهما، وكان ذلك قبل التاريخ المسيحى بسنين، ولم نكن نعلم أن الكلدانيين والمصريين يقولون هذا القول، ويعتقدون هذا الاعتقاد إلا فى هذه الأيام).

وقال فى صفحة ٤٠٤: (وكما أن للكلمة مقاماً سامياً عند

المصريين (القدماء الوثنيين)، كذلك يوجد فى كتبهم الدينية المقدسة هذه الجملة: (إنى أعلم بسر لاهوت الكلمة، وهى كلمة رب كل شئ وهو الصانع لها، فالكلمة هى الأقنوم الأول، وهى غير مخلوقة وهى الحاكم المطلق على كافة المخلوقات).

التثليث عند الآشوريين والكلدانيين :

قال دوان فى كتابه خرافات التوراة وما يماثلها فى الديانات الأخرى: (وكان الآشوريون يدعون [مردوخ الكلمة]، ويدعونه أيضا ابن الله البكر[1]، وكانوا يتوسلون

١) اقتبس الآشوريون (١٣٩٢ – ٦١٢ ق.م) من البابليين (١٨٩٣– ١٥٩٤ ق.م) الثالوث المؤلف من: آنو– بل– مردوخ، ولكن بدل مردوخ البابلى حل الإله الوطنى آشور. كما اقتبسوا من البابليين أيضاً الثالوث: سين (إله القمر)، وهو الابن الأكبر للإله أنليل، وشماس (إله الشمس)، وهو القاضى الأعظم، إله العدالة والحق والنور، وعشتار، وهى نجمة الزهرة ابنة آنو، وأحياناً ابنة سين، وهى إلهة الحب والحرب والخصب،

D:\كتب\الوهابية\٠٩doc.

إليه بهذا الدعاء: أنت القادر الموفق، ومانح الحياة، أنت الرحيم بين الآلهة، أنت ابن الإله البكر خالق السموات والأرض ومالكها، ليس لك شبيه، أنت الرحيم ومحيى الأموات).

وقال أيضا فى الصفحة ٣٧٤: (كان الكلدانيون يقولون للكلمة [ممرار]، كما يقول اليونانيون بأنه هو الصانع للعالم، والحاكم عليه، وأن ليس من شئ أعظم منه إلا الله).

قال العلامة فروثنغام فى كتابه مهد المسيح ص ١١٢ ما نصه: (كان فولو يدعى الكلمة، وكانون يعظمونه جدا، ويصفونه بهذه العبارات، فولو الكائن قبل كل شئ، ابن الله البكر، الخبز السماوى الأبدى، ينبوع الحكمة، الدال على الله، النائب عن الله، صورة الله، الكاهن، خالق العوالم، الإله الثانى، المترجم عن الله، سفير الله، قوة الله،

وأصبحت عشتار قرينة آشور، وتسمى (بعليت) ربة السماء والمعارك.

الملك، الملاك، الإنسان، الوسيط، النور الابتدائى، الشرق، اسم الله، الفادى).

التثليث عند اليونانيين:

وكان اليونانيون (القدماء الوثنيين) يقولون: إن الإله مثلث الأقانيم، وإذا شرع قسيسوهم بتقديم الذبائح، يرشون المذبح بالماء المقدس ثلاث مرات (إشارة إلى الثالوث).

ويرشون المجتمعين حول المذبح بالماء ثلاث مرات، ويأخذون البخور من المبخرة بثلاثة أصابع، ويعتقدون بأن الحكماء قد صرحوا أن كل الأشياء المقدسة يجب أن تكون مثلثة، ولهم اعتناء تام بهذا العدد (أى التثليث) فى كافة أحوالهم الدينية، (كتاب برتشيرد ترقى التصورات الدينية المجلد الأول ص ٣٠٧).

قال دوان: المذكور نقلا عن أورفيوس، وهو أحد كتاب وشعراء اليونان الذين كانوا قال المسيح بعدة قرون ما نصه:

(كل الأشياء عملها الإله الواحد، مثلث الأسماء والأقانيم).

وهذا التعليم الثالوثى أصله من مصر، (وكثيرون من الآباء فى الجيل الثالث والرابع قالوا: إن فيثاغورس وهيركليتوس وبلاتو علموا التثليث، وقد أخذوا فلسفتهم فى التثليث عن أورفيوس (أنظر دائرة المعارف، تأليف تشمبرس عند كلمة أورفيوس).

التثليث عند الرومانيين :

وقال العلامة فسك فى كتابه الخرافات ومخترعوها ص ٢٠٥: (وكان الرومانيون الوثنيون القدماء يعتقدون بالتثليث وهو أولا الله ثم الكلمة ثم الروح).

التثليث عند الفرس :

وقال دوان: (وكان الفرس يعبدون إلها مثلث الأقانيم، مثل الهنود تماما، وهم أورمزد ومترات وأهرمان. فأورمزد: الخلاق. ومترات: ابن الله المخلص والوسيط. وأهرمان: المهلك. ويوجد فى كتابات زورستر سانن (الشرائع

الفارسية) هذه الجملة: (الثالوث اللاهوتى مضىء فى العالم، ورأس هذا الثالوث موناد، وكان الآشوريون والفينيقيون يعبدون آلهة مثلثة الأقانيم).. (كتاب الديانات القديمة المجلد الثانى ص ٨١٩).

التثليث عند الفنلنديين :

قال العلامة بارخورست فى القاموس العبرانى: (وكان للفنلنديين- وهم برابرة كانوا يسكنون شمالى بروسيا فى القرون الخالية- إله اسمه (تريكلاف) وقد وجد تمثال له فى هرتو نجر برج، له ثلاثة رؤوس على جسد واحد).

التثليث عند الإسكندنافيين :

قال دوان ص ٣٧٧: (وكان الإسكندنافيون يعبدون إلها مثلث الأقانيم، يدعونها (أودين وتورا وفرى)، ويقولون عن هذه الثلاثة أقانيم: إنها إله واحد، وقد وجد صنم يمثل هذا الثالوث المقدس بمدينة أوبسال من السويد، وكان أهالى السويد والنرويج والدانمارك يفاخرون بعضهم فى

بناء الهياكل لهذا الثالوث، وكانت جدران هذه الهياكل مصفحة بالذهب، ومزينة بتماثيل هذا الثالوث، ويصورون (أودين) وبيده حسام، وتورا واقفا عن شماله وعلى رأسه تاج وبيده صولجان، وفرى واقفا عن شمال تورا، وتمثاله فيه علامتا الذكر والأنثى، ويدعون أودين: الأب، وتورا: الابن البكر، ابن الأب أودين، وفرى: مانح البركة والنسل والسلام والغنى).

التثليث عند سكان سيبريا :

وكان الدرديون يعبدون إلها مثلث الأقانيم، وهم: تولاك وفان ومولاك، وسكان سيبيرية القدماء كانوا يعبدون إلها مثلث الأقانيم، ويدعون الأقنوم الأول من هذا الثالوث المقدس خالق كل شئ، والأقنوم الثانى إله الجنود، والأقنوم الثالث روح المحبة السماوية، ثم يقولون: أقانيم ثلاثة إله واحد).

التثليث عند التتر :

والتتر الوثنيون عبدوا إلها مثلث الأقانيم، وعلى أحد نقودهم الموجودة فى متحف بطرسبورج، صورة هذا الإله المثلث الأقانيم المقدسة جالسا على حندقوقة.

التثليث عند الأقيانوس :

قال العلامة نيت فى كتابه الصنائع القديمة والخرافات الوثنية ص ١٦٩: (وسكان الجزائر فى الأقيانوس عبدوا إلها مثلث الأقانيم، فيقولون: الإله الرب، الإله الابن، الإله روح القدس، ويصورن روح القدس بهيئة طير).

التثليث عند سكان أمريكا القدماء :

قال اللورد كنسبرو فى كتابه آثار المكسيك القديمة المجلد ٥ ص ١٦٤: (والمكسيكيون يعبدون إلها مثلث الأقانيم يدعونه تزكتليبوكا، ومعه إلهان آخران أحدهما واقف عن يمين الإله المذكور، والآخر واقف عن يساره، واسم الإله الأول- أى الواقف عن اليمين- إهوتز ليبوشتكى، و

الآخر اسمه تلالوكا، ولما عين برتولوميو مطرانا سنة ١٤٤٥، أرسل القس فرنسيس هرمنديز إلى المكسيك ليبشر بين (الهنود الحمر) بالديانة النصرانية، وكان هذا القس عارفا بلغة (الهنود الحمر)، ومن بعد مضى عام على ذهابه أرسل مكتوبا إلى المطران المذكور يقول فيه: إن (الهنود الحمر) يؤمنون بإله كائن فى السماء، وأن هذا مثلث الأقانيم وهو الإله الأب، والإله الابن، والإله روح القدس، وهؤلاء الثلاثة إله واحد. واسم الأب: بزونا، واسم الابن: باكاب، مولود من عذراء، واسم الروح القدس: أيكيهيا، ويعبدون صنما اسمه تنكا تنكا يقولون عنه: إنه واحد ذو ثلاثة أقانيم، وإنه ثلاثة أقانيم إله واحد).

قال العلامة سكوير فى كتاب رمز الحية ص ١٨١: (والهنود الحمر) الكنديون يعبدون إلها مثلث الأقانيم، ويصورونه بشكل صنم له ثلاثة رؤوس على جسد واحد، ويقولون: إنه ذو ثلاثة أشخاص بقلب وإرادة واحدة).

هكذا نرى التشابه بين أمم الوثنيين، وقد كان بعضهم يعبد آلهة متعددة، لم نذكر عنهم شيئا لأنا قصدنا البيان عن الأمم التى كانت تعتقد التثليث.

ولولا حبنا بالاختصار لأتينا بشواهد عديدة غيرها بخصوص هذه العقيدة الوثنية.

D:\كتب\الوهابية\٠٩doc.

الفصل الثانى

التثليث عند بعض النصارى

أسس الاعتقاد عند النصارى[١]:

يعتمد النصارى فى عقائدهم على ثلاثة قوانين وضعتها لهم مجتمعاتهم، أحدها قانون الإيمان الرسولى، ثانيها القانونى النيقوى، وثالثها القانون الإثناسيوسى.. وليس فى أناجيلهم الأربعة شئ يدل على ألوهية المسيح أو الثالوث أو التجسد، نعم ورد فى بعض الرسائل الملحقة بالأناجيل ما قد يؤيد اعتقاد الثالوث فقد قال يوحنا فى الباب الخامس العدد (٧) من الرسالة الأولى: **[فإن الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة: الآب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد، والذين يشهدون فى الأرض هم ثلاثة: الروح والماء والدم، والثلاثة هم فى الواحد].**

---

١) راجع كتاب (أدلة اليقين) د. محمد شوقى الجزيرى، ط. دار الرشاد – القاهرة ١٩٩٦م، ص١٢٥ – ١٤٤.

ولكن هذه العبارة إما أن تكون محرفة لأنها تناقض ما ورد فى الأناجيل الأصلية من أن الإله واحد، وإما أن تؤول، وعلى كل حال فهم لا يعولون فى إثبات عقائدهم إلا على القوانين التى وضعتها لهم مجتمعاتهم.

وذلك لأن المجتمعات هى التى أثبتت كتبهم المقدسة فهى الأصل الذى يرجعون إليه، وسواء كان هذا من الخروج على النظم الإلهية التى تحتم ألا ينسب إلى الله شئ إلا بطريق الوحى أو لا، فتلك مسألة أخرى، ولنبدأ الآن الكلام فى شرح عقيدة الثالوث.

الثالوث عند النصارى:

يوضح القانون الإثناسيوسى عند النصارى (عدد ٣-٦) وهو كما يلى:

٣) الإيمان الجامع هو أن نعبد إلهاً واحداً فى ثالوث وثالوثاً فى وحدانية.

٤) لا تخلط الأقانيم ولا تفصل الجوهر.

٥) فإن للأب أقنوماً على حدة، وللابن إقنوماً آخر، وللروح القدس إقنوماً آخر.

٦) ولكن لاهوت الأب والابن والروح القدس كله واحد، والمجد متساو والجلال أبدى معاً.

وقد فسر النصارى هذا القانون أنهم يعبدون إلهاً واحداً بالنسبة لجوهره فى ثالوث بالنسبة لأقانيمه، وثالوثاً من الأقانيم فى وحدانية الجوهر، ولا تخلط الأقانيم لأن كلاً منهم قائم بذاته ولا يفصل الجوهر لأنه كله واحد[1].

ولكنهم لم يوضحوا الموضوع على الوجه الأكمل، وإننا سنوضحه لك إيضاحاً تاماً، وذلك من آراء شراحهم المعول عليها عندهم، وإليك البيان.

يقولون: إن الله- تعالى عما يقولون علواً كبيراً- مركب من ثلاثة أقانيم، كل أقنوم متميز عن الآخر بوجوده

---

١) أنظر كتاب (البراهين العقلية فى صحة الديانة المسيحية) ص١٣٠.

الخاص وهو ذات لا صفة، وهو مع ذلك لا يقال له جوهر بل الجوهر اسم لمجموع الثلاثة[١].

وإذا قلت لهم: إذا كان الأقنوم ذاتاً لا صفة فلماذا لا يطلق عليه جوهر، أجابوا بأنهم لا يعرفون حقيقة الأقنوم، فلا يمكنهم أن يعبروا عنه بعبارة ما، وإذا قلت لهم: إن عدم معرفة الأقنوم تستلزم حتماً عدم معرفة الإله المركب من الثلاثة، فلا يصح أن يطلقوا عليه جوهراً، قالوا: إن ذلك فوق العقل، فلا يناقشون فيه، ويعبر بعضهم عن الأقنوم بأنه الأصل الموجود فى كل واحد من الثلاثة بطريق التساوى، وعلى كل حال فهم مجمعون على أن كل أقنوم متميز عن صاحبه بوجوده الخاص، وأن كل واحد من الأقانيم الثلاثة له أوصاف تميزه عن الآخر، فأحدها يقال له الأقنوم الأول وهو أقنوم الأب ويعتبرونه أصل الأقانيم، يليه الأقنوم الثانى هو أقنوم الابن ويقولون: إن الأقنوم الثانى صدر عن الأقنوم الأول، وكيفية صدوره عن

١) البراهين العقلية، ص١٣١.

الأقنوم الأول أن للأول وهو أقنوم الأب عقلاً وتفكيراً، ففكر الأب فى لاهوته (ذاته الإلهية) ، وعقلها، فتولد من ذلك التفكير أقنوم الابن، وذلك الأقنوم مماثل لأقنوم الأب تماماً وطبيعتهما واحدة، كالصورة التى تنطبع فى المرآة فتكون مماثلة لأصلها من جميع الوجوه، فالأقنوم الثانى هو كالأقنوم الأول من جميع الوجوه، إلا أن له وجوداً خاصاً به، ويسميه بعضهم صورة عقل الأقنوم الأول، لأنه تولد عن تفكيره فكان صورة لعقله كما بيّنا لك، ويسمونه أيضاً كلمة الأقنوم الأول، لأنه تولد عنه بالكلام، ويسمونه أيضاً ابناً، لأن الابن يصدر عن الأب وفيه بعض الشبه أما هذا فإنه مثل الأب من جميع الوجوه، فهو أحق بتسميته ابناً من الأبناء الشرعيين.

أما الأقنوم الثالث فقد صدر عن الأب والابن معاً بفعل الإرادة والمحبة لا بفعل العقل[١]، فالإله الممتزج من الأب

١) هذه العقيدة مطابقة تماماً لعقيدة التثليث عند قدماء المصريين، كما بيّنا ذلك فى الفصل الأول من هذا الكتاب.

والابن وهما الأقنوم الأول والثانى أحب ذاته، فتولد من هيجان الحب أقنوم ثالث، ويعبر عن ذلك بعضهم بالانبثاق، فيقول: انبثق من هيجان الإرادة ذلك الأقنوم الثالث، وهو مساو فى طبيعته للآخرين ويسمونه الروح القدس.

فالإله مكون من ثلاثة أقانيم كل واحد منها كصاحبه من جميع الوجوه، ومع ذلك فكل واحد منها متميز عن الآخر، فالكل واحد لأنه مركب من ثلاث طبائع متجانسة متحدة، وكل واحد منها هو الكل، فيقال لأقنوم الأب أنه إله، ولما كان مساوياً فى طبيعته لأقنوم الابن كان أقنوم الابن موجوداً فيه، ومثل ذلك يقال فى باقيها، وإنما اختص روح القدس بهذا الاسم مع أنهم يقولون: إن الأب روح، والابن روح، لأنهم يعتبرون للأقانيم ثلاثة مراتب، مرتبة الأب وهى العليا، يليها مرتبة الابن، ويليها مرتبة روح القدس، فسموا الأول أباً، وسموا الثانى ابناً، ولم يبق إلا الثالث فلم يبق له اسم يناسب مرتبته فسموه بالاسم العام،

ويمثلون لذلك بآدم وقابيل وحواء، فإن آدم أب، وقابيل ابن، وليس من المناسب أن تكون حواء بنت آدم فسموها حواء.

ورغم أنهم يطلقون على هذه الأقانيم الثلاثة (أقانيم) بمعنى حقائق وجودية لكل واحد منها وجود خاص تمتاز به عن الأخرى، فإنهم يسمون أقنوم الأب بالوجود الواجب، ويسمون أقنوم الابن بالعلم والعقل، ويسمون أقنوم روح القدس بالإرادة والمحبة، فالله مركب من ثلاثة أمور متميزة وهو مع ذلك واحد.. ثم يقولون: إن أقنوم الابن قد اتحد مع دم مريم فتجسد وظهر فى جسد المسيح، فالمسيح من حيث كونه أقنوماً روحياً إله كامل، ومن حيث كونه جسداً بشرياً إنسان كامل، ويطلقون على الأول (لاهوتاً) وعلى الثانى (ناسوتاً).

هذا هو الذى يقولونه فى الإله؛ ذكرناه لك بالإيضاح التام، ولا نظن أن عقلاً فى الوجود يرضيه هذا القول أو يعبد إلهاً بهذا المعنى، ومن العجيب أن يجيب النصارى

علىهذا التناقض أن التثليث ليس خطأ بل هو سر عجيب، ويجب انتظار أسرار كثيرة فى الكتب المقدسة (خصوصاً) ما يتعلق بجوهر الله، إذ لو خلت حقيقة الله من الأسرار لأدركتها العقول البشرية كما تدرك سائر الأشياء المحدودة وهذا محال[1].

وهذا يتناقض تناقضاً صريحاً مع ما تقدم لهم، لأنهم حكموا بأن الله مركب من أقانيم، وحكموا بأنه يشبه خلقه من حيث كونه روحاً، ومثلوا لتركيبه بتركيب الإنسان، ولكنهم مع ذلك يقولون: إنه سر ينبغى ألا تجول فيه العقول.

ومن المضحك أنهم يقولون: إن رفض المسلمين لعقيدة الثالوث رفض لوجود الإله، لأنهم يعتقدون أن الإله يجب أن يكون مركباً من ثلاثة، أحد الثلاثة لاهوت المسيح وهو أقنوم الابن الذى سبقت الإشارة إليه، ورفض لاهوت المسيح مصيبة عندهم.

---

١) ميزان الحق تأليف القس فندر، ص٢٠٤.

فظنوا أن المسلمين يقعون فى تلك المصيبة التى هى نكران أقنوم المسيح ولاهوته، ونسوا أن المسلمين يؤمنون برفض لاهوت المسيح إيماناً جازماً طبعاً، ويشهدون أنه عبد الله ورسوله وأنه بشر كسائر المخلوقات لم يتميز عن غيره إلا بالرسالة التى ميز الله بها بعض عباده الذين اصطفاهم لرسالته، هذه هى عقيدة المسلمين فى المسيح.

أقوال المبشرين فى عقيدة الثالوث ودفاعهم عنها:

وتتلخص عبارات المبشرين فى هذا الموضوع فى أمور ثلاثة أحدها:

١) إن الله- تعالى عما يقولون- مركب من ثلاثة أقانيم متميزة كل واحد مها مغاير لصاحبه ولكنه مساو له فى معنى الألوهية، ومع ذلك فهو إله واحد، وكل واحد له خاصة لا يشترك معه فيها أقنوم آخر، وهذه الأقانيم الثلاثة وحدة متماسكة غير قابلة للانفصال أزلاً، ولو فرض- وهذا الفرض مستحيل- أنه لو انفصل أحد

الأقانيم لا يكون إلها، بالرغم من كونه مساوياً لصاحبيه من جميع الوجوه، فذاتهم واحدة ومجدهم واحد، وصفاتهم واحدة، ومشيئتهم واحدة، وهكذا فى كل الصفات الإلهية.

٢) قرروا أن هذه النظرية فوق العقل فلا يمكن إدراكها، على أنهم يمثلونها بأمثلة يقولون: إنها أمثلة تقريبية، ومن ذلك حكمة يحيى بن معاذ التى ذكروها وهى: (من عرف نفسه عرف ربه).

فكما أن الإنسان مركب من ثلاثة أشياء: جسم ونفس وروح، فكذلك الإله مركب من ثلاثة أقانيم كما بيّنا آنفاً.

٣) ومع ذلك.. فإنهم يقولون: إن لهذا نظيراً عند المسلمين، وهو أنهم يقولون: إن ذات الله لا تعرف ولا تحيط بها العقول، على أنهم احتجوا أيضاً بأن المسلمين يقولون بتعدد صفات الإله، فالتعدد عندهم لا ينافى وحدته، وكذلك تعدد الأقانيم لا يبطل وحدة الجوهر.

D:\كتب\الوهابية\٠٩doc.

الرد على أقوال المبشرين فى الثالوث:

هذه هى المسائل الثلاث التى قررها المبشرون فاستمع لردها واحدة واحدة:

١) أما المسألة الأولى: فقد قلنا لك آنفاً إن القول بتركيب ذات الإله من ثلاثة أقانيم على الكيفية التى وردت فى العقيدة النصرانية لا يرضى بها أحد من خلق الله، لأن وقوعها مستحيل، ولا يمكن لعاقل أن يقول: إن معتقدها موحد ومنزه لإلهه، ومن المدهش أن عقيدة كهذه تتملك نفوس عدد عظيم من الناس تحت تأثير أنها فوق العقل، وما دام قد أتى بها كتاب مقدس فينبغى الإذعان لها، حتى ولو كانت بديهة العقل تقتضى بطلانها، مع أن الشرائع السماوية ما جاءت إلا بما ينطبق على العقول السليمة، فهى تبرهن جميعها للناس على وجود إله واحد وتقيم لهم الأدلة على تنزيهه، ومحال أن يأتى رسول يدعو الناس إلى إله واحد ثم يقول لهم: إن هذا الواحد مركب من ثلاثة حقائق متماثلة متميزة متحدة، ومع ذلك هو واحد، لو جاء

رسول للناس بهذه النظرية وقال لهم: إن التناقض الظاهر لكم فوق عقولكم، لما آمن به أحد، وفضلوا عبادة الأوثان التى لا تعقيد فيها، أو عبادة آلهة متعددة، على هذه العقيدة المعقدة التى تصادم الحس وتخالف بديهة العقل.

والغريب أنهم يقولون: إن الثلاثة حقائق وجودية قائمة بنفسها لا صفات، وإنها متميزة ومعدودة، غاية ما هناك إنها متماثلة، فهل رأيت أو سمعت أن المثلين يمكن اتحادهما بحيث يصير أحدهما عين الآخر، مثلاً زيد وعمرو توأمان مشتركان فى الإنسانية والوجود وجميع الصفات ما عدا الوجود الخاص الذى يميز أحدهما عن الآخر، فهل يقبل العقل أن زيداً وعمراً قد اتحدا وصار أحدهما الآخر؟، كلا.. إن ذلك محال بالبداهة، فإذا وجد من الناس من ينكر البديهى قيل له: إنهما لا يمكن اتحادهما إلا بعد زوال شخصية زيد وعمرو، فإذا زالت شخصيتهما لابد أن تحل بعد زوالها شخصية أخرى، وحينئذ فلا يكون الاتحاد بين زيد وعمرو، أما إذا بقيت

شخصية كل منهما ولم تزل فلا يكونان متحدين، وإذا انعدمت شخصية أحدهما ولم تنعدم الأخرى لا يتأتى الاتحاد إذ لا اتحاد بين الموجود والمعدوم.

ولنفرض سريرين مركبين من مادة مساوية للأخرى من جميع الوجوه، ولكن لكل منهما وجود خاص يميزه عن الآخر بحيث يشار إلى كل منهما على حدة، ثم ألصق أحد السريرين بالآخر مع بقاء شخصية كل سرير على حالها، فهل ذلك الإلصاق يغير شخصيتهما أو يظل كل واحد منها باق على وجوده الخاص؟.. لا شك فى بقاء السريرين على حالهما، فإذا أريد إعدام شخصيتهما لابد من إزالة تركيبهما أولاً، وعمل سرير آخر من مجموع خشبهما وعند ذلك تحدث هيئة أخرى يتكون منها سرير جديد غير السريرين الذين انعدمت شخصيتهما، ذلك هو الذى اتفق عليه العقلاء فى كل زمان ومكان.

نعم قالوا: يصح أن يطلق الاتحاد على انتقال شئ من حالة إلى حالة أخرى، كانتقال المسمار والخيط من

حالتهما بالتركيب والجمع بينهما إلى حالة الحصير، فإن أراد أن الإله مركب من ثلاثة أجزاء كل جزء لا يوجد فيه الكل، كالحصير المركبة من الأجزاء الثلاثة، يكون ذلك القول ممكن الوقوع فى الخارج، وإن كانت ذات الإله– تعالى وتقدس– منزهة عن التركيب من أجزاء، لأن الكل لا يتحقق بدون أجزائه طبعاً، فإن الحصير لا توجد إلا إذا وجد أولاً المسمار والخيط، حينئذ يكون الكل محتاجاً إلى أجزائه، فالإله المركب محتاج إلى أجزائه التى يتركب منها، مع أن الإله يكون غنياً عن كل ما سواه، فلو احتاج فى وجوده إلى شئ ما، لكان حادثاً لا يصلح أن يفيد العالم الموجود، فكيف يمكنه أن يعطى العالم الوجود، وهو مثلهم محتاج، ولا يصح أن يقال: إن أجزاء الشئ عينه، فاحتياجه إليها احتياج لنفسه، لأنه لو صح ذلك أصبح إطلاق اسم الحصير على الخيط والمسمار قبل تركيبهما، وذلك باطل بالبداهة، وأيضاً لو كان الإله مركباً من أجزاء لكان كل جزء من أجزائه مقدماً عليه فى الوجود والضرورة، لأن الجزء مقدم على

الكل عند جميع العقلاء، ولو كان الجزء مقدماً لكانت مرتبته فى الألوهية مقدمة، فكان هو أحق بأن يكون إلهاً من الكل، فالتركيب فى ذات الإله محال قطعاً على أى حال، ولكن التركيب من أجزاء كل جزء منها غير الكل ممكن الوقوع فى الخارج، فى غير ذات الإله، أما التركيب بمعنى الاتحاد الحقيقى وهو أن يجتمع ثلاثة جواهر متميزة لكل واحد منها وجود خاص يمتاز به عن صاحبه، بحيث يكون أحدهما أول وثان وثالث، وكل واحد منها يصدق عليه الكل لتماثلهم فى الحقيقة، فذلك مستحيل الوقوع بالنسبة للإله وللمخلوقات، ومن يمكنه أن يتصور أن زيداً أو عمراً قد اتحدا مع بقاء شخصية كل منهما فإنه يمكنه أن يتصور اتحاد الأقانيم الثلاثة مع بقاء شخصية كل واحد منهم.

ومع هذا كله فلنسلم جدلاً بأنه يمكن أن يقع فى الوجود اتحاد ثلاثة جواهر متماثلة اتحاداً حقيقياً، بحيث يصير أحدهم عين الآخر، ولكنا نسأل المبشرين ما هو غرضهم

من اتحاد الأقانيم فى الأزل فى الذات والصفات؟ فإن كان يريدون به أنهم متساوون فى الرتبة أيضاً فإن ظاهر نصوص الإنجيل تنافيه.

أما أولاً: فلأنهم نقلوا عن الكتاب المقدس أن لقب الأقنوم الأول الأب والخالق، والثانى ابن الله والفادى، والثالث المقدس والمعزى، وذلك ظاهر فى أن الأب له مرتبة أعلى من مرتبة الابن، وهو ما يعطيه ظاهر قول المسيح أيضاً: (أبى أعظم منى)، والتأويل الذى يذكره المبشرون لهذه الجملة من أنه يريد أنه أعظم منه من حيث ناسوته غير ظاهر، لأن المراد بالناسوت هو الجسم البشرى بقطع النظر عما يتعلق به من المعانى الروحية، وتفضيل الإله على الجسم ليس من مقاصد العقلاء، فضلاً عن الأنبياء، فضلاً عن الآلهة، لأنه لا يخفى على أحد أن الإله أفضل من الأجسام، فما هى الفائدة من إخبار المسيح بذلك، وهل من المناسب أن يقول المرء: إن الله أفضل من أجسام عباده، فلابد أن يكون الغرض تفضيل أقنوم الأب على

أقنوم الابن.

وأما الثانى: فلأنهم إذا قالوا: إنه لا تفاضل بين أقنوم الأب والابن فلا يكون لتسمية الأقنوم الأول أباً، والثانى ابناً معنى، لأن مرتبتهما واحدة، فلماذا جعل الأول أباً، وكذلك لا يكون لتسمية الابن كلمة الأب معنى، وأيضاً فلا يكون لتسمية صورة عقل الأب معنى، وذلك على أساس شرح عقيدة الثالوث عندهم، فذلك دليل على أن مرتبة الأب أعلى من مرتبة الابن، وذلك يستدعى أن يكون الأقنوم الثانى أثراً للأقنوم الأول، فيكون ممكناً، والذى يطلع على كتبهم يرى أنهم يجمعون على أن الأب ينبوع الابن، وأن الابن صادر عن تفكير الأب فى ذاته فيكون أثراً له حتماً، فكيف يكون مركباً منه، مع أن البداهة تجزم أن المركب من الممكن ممكن.

وإذا سلمنا أنهم متساوون فى كل شئ أزلاً، فليس أحدهما أثراً للآخر، ولكنا نقول لهم: إذا وجد ثلاثة حقائق قائمة بنفسها مجردة عن المادة أزلاً، كل واحد منهم تقتضى ذاته

الوجود، فلا معنى لهذا إلا وجود ثلاثة آلهة كاملة لأن الذى ذاته تقتضى الوجود يكون إلهاً كاملاً من جميع الوجوه، ومتى وجد آلهة ثلاثة تقتضى الوجود كان من طبيعة كل منهم التفرد بالسلطان المطلق، لأن ضعف السلطان نقص، وذلك يفضى إلى التنازع حتماً فيختل نظام العالم ويتنازع الآلهة، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء: ٢٢).

ومن السخرية أن يقال: إن الآلهة الثلاثة قد اتحدوا وصاروا إلهاً واحداً، بل من السخرية أن يقال: إن الثلاثة لهم مشيئة واحدة وقدرة واحدة وسلطان واحد، لأن المفروض على زعمهم أن لكل أقنوم خاصة تميزه عن صاحبه، وأن كل واحد منهم أزلى، إذ من البديهى الذى لا يرتاب فيه أحد أن الإله يجب أن يكون كاملاً من جميع الوجوه، فيجب أن يكون أقنوم من الأقانيم متصفاً بصفات كاملة، فينبغى أن تكون مشيئة كل واحد منهما كاملة، وقدرته كاملة، وسلطانه كامل، ومتى ثبت أن هذه الصفات

يجب أن تكون كاملة فإنه يستحيل اتحادها، كما يستحيل اتحاد الذوات، وذلك لأن معنى الاتحاد فناء إحدى الصفات فى الأخرى بحيث تصير أحدهما عين الأخرى، وبديهى أن التى تفنى فى غيرها لا تكون كاملة، فإذا فرضنا أن قدرة كل أقنوم منهم كاملة، ولكن فنيت اثنتان وهما قدرة الابن وقدرة روح القدس فى قدرة الأب، فلا نشك فى أن يكون الفانى ناقصاً، ويلزم من ذلك أن يكون نفس الأقنوم ناقصاً أيضاً، فإن المتصف بالناقص ناقص حتماً، ويلزم من ذلك أن يكون مجموع الإله ناقصاً، لأن المركب من الناقص ناقص، وذلك بديهى، فقولهم: إن لهم مشيئة واحدة وقدرة واحدة إلخ.. لا معنى له.

لعلك تقول: إنهم يريدون من اتحادهم فى الصفات أنهم يعملون بالاتفاق، فكل منهم له قدرة كاملة مثلاً، ولكنهم يوجهونها معاً إلى الأثر الذى يريدون إيجاده، أو يتفقون على أن قدرة أحدهم تعمل وحدها.

والجواب: أن هذا واضح الفساد.

أما الأول: فلأن القدرتين إذا تعلقتا معاً بإيجاد شخص مثلاً، والمفروض أن إحداهما كافية فيه كان إيجاده بإحداهما فقط، أما الأخرى فتكون ملغاة لا عمل لها، ألا ترى إنك إذا وضعت قدراً فيه ماء على نار حامية حتى وصل الماء إلى نهاية درجة الغليان، ثم سلطت عليه ناراً حامية أخرى مثلها، فإنها لا تزيد فى غليانه شيئاً لأنه قد وصل إلى نهايته، فكذلك القدرة التامة إذا تعلقت بشئ كان أثراً لها وحدها فتكون الثانية ملغاة لا عمل لها.

فإن قلت: إنها أحدثت فيه أثراً مماثلاً لأثر القدرة الأخرى بأن أوجدته الأولى ثم أوجدته الثانية كان الخلل أشد ظهوراً، فإنه لا معنى لإيجاد الموجود، وإذا قلت: إن القدرتين تعاونتا على إيجاده، كان معنى ذلك أن كلاً منهما لا يكفى فى إيجاده، فتكون القدرتان فى هذه الحالة ناقصتين، ويكون المتصف بهما إلهين ناقصين أو أقنومين ناقصين.

وأما الثانى: فلأنه إذا عملت قدرة أحدهما وتعطلت قدرة

الثانى كان المعطل ناقصاً بالبداهة والمفروض أنه كامل، فالنتيجة الطبيعية لذلك أنه يستحيل اتحاد صفات الأقانيم كما يستحيل اتحاد ذواتهم، وبذلك يتضح جلياً أن القول بوجود ثلاثة أقانيم مجردة عن المادة، متميزة عن بعضها، متحدة فى الذات والصفات، وأن مجموع الثلاثة إله واحد هو قول هراء.

لعلك تقول: إن بطلان عقيدة الثالوث لا تخفى على أحد من خلق الله، ولهذا قد نقل المؤرخون أنها لم يوجد لها أثر فى الأمم الماضية من لدن آدم إلى موسى عليه السلام، اللهم إلا عند بعض فلاسفة الوثنية، والنصارى أنفسهم يشعرون بذلك التناقض ولكنهم يعتذرون عنه بأنه فوق العقل وخارج عن دائرة البحث والتفكير، وإذا كان كذلك فلسنا فى حاجة إلى كل هذه الأدلة.

والجواب: إننا وإن كنا نوافق حقاً على أن هذه العقيدة واضحة البطلان، وإننا على رأى صاحب الملل والنحل، والذى يقول: لولا أننا نرى بأعيننا أناساً يقررون هذه

العقيدة ويدينون بها، ما صدقنا أن العقول البشرية تقبل عقيدة كهذه، ولكنا أردنا أن نتماشى مع المبشرين وخصوصاً أنهم لهم يقفوا عند حد أن هذه العقيدة غير معقولة حقاً، ويعتذروا بأنه ليس كل غير معقول يجب رفضه، بل حاولوا أن يبرهنوا عليها وأن يمثلوا بما يقربها من العقول ويجعلها جارية على سنن المنطق، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنهم قد فهموا خطأ فيما يقوله المسلمون من أن ذات الإله لا يمكن إدراكها، فأردنا أن نفهمهم أن المسلمين لا يقبلون إلا ما كان منطبقاً على العقل، وذلك أنموذج من أدلة المسلمين على توحيد الإله سبحانه.

أمثلة المبشرين على صحة نظرية الثالوث والرد عليها:

وإذ قد عرفت الرد على نظرية المبشرين بوجود ثلاثة أقانيم مجردة كل واحد منها متصف بصفات الكمال ثم اتحدوا فى الذات والصفات وصاروا إلهاً واحداً، وعرفت

أن ذلك مستحيل بداهة، فاستمع للرد على ما مثلوا به فى إمكان ذلك وعدم استحالته.

زعموا أن الإنسان مخلوق على مثال الله، وهو مركب من ثلاثة أشياء متميزة إلا أنه واحد، فزيد مثلاً مركب من جسم وروح ونفس، فإذا أراد أن يتكلم عن جسمه فإنه يصح له أن يقول: أنا.. بمعنى أنه هو متحد معه، وإذا أراد أن يتكلم عن روحه فإنه كذلك يقول: أنا.. بمعنى أنه هو روحه ومتحد معها، وإذا أراد أن يتكلم عن نفسه فإنه يقول كذلك، ومع ذلك فإن نفسه ممتازة عن جسمه وممتازة عن روحه- ويلاحظ أنهم لم يقولوا: إنها مميزة بالفعل، بل قالوا: يكاد يتميز أحدها عن الآخر- فيصح حينئذ أن يكون كل واحد من الثلاثة هو زيد فالنفس زيد، والجسم زيد، والروح زيد.. مع كون الثلاثة ممتازة فلم يكن فيها إلا شخص واحد وهو زيد، فحينئذ يمكن أن يكون الثلاثة واحداً والواحد ثلاثة، هكذا يقرر المبشرون.. ويقرروا مع هذا أنه إذا انفصل كل واحد عن الآخر كانا

موجودين فيه نظير الإله المركب من الأقانيم تماماً، ولكن هل مثل هذا القول يصدر عن تفكير صحيح؟.. وهل يؤمن المبشرون حقاً بصحة هذا الكلام؟.. فلننظر.

لا ريب فى أن الإنسان مركب من أجزاء مادية محسة، ومتصف بصفات مشاهدة أيضاً، وإلى جانب هذا يتعلق به أمور معنوية، فأما الأمور المادية فهى الخلايا المركب منها الجسم الإنسانى المكونة من العناصر المختلفة كالفسفور والأكسجين والأيدروجين والأزوت.. والخلية هى عبارة عن كتلة صغيرة ذات شكل معين ويمكن تمثيلها باللبنة (الطوبة).. ويتركب كل عضو من أعضاء ثانوية تسمى بالأنسجة، وتنقسم إلى أنسجة مختلفة نسيج عظمى، ونسيج غضروفى، ونسيج عضلى، ونسيج طلائى وهو الجلد الذى يغطى هذه الأنسجة كالحائط المبنية من الطوب أولاً ثم تغطى بالجص والبياض كما هو مبين فى موضعه.

فإذا شئت أن تقتصر قلت: إن الجسم الإنسانى هو ذلك

D:\كتب\الوهابية\٠٩doc.

المحس المشاهد المركب من اللحم والدم والعظم والعروق والأعصاب والأعضاء الباطنة والظاهرة التى يمدها المخ بواسطة النخاع الشوكى ويعمل القلب فى توزيع الدم.

هذه هى الأجزاء المادية التى يتركب منها جسم الإنسان، وأما غير ذلك من الأمور المعنوية فلم يقل أحد من العقلاء إنها جزء من أجزاء جسم الإنسان، أو أنها هى عين جسم الإنسان، وإنما الذى يقال إن هناك أموراً معنوية قائمة بالإنسان كالروح المجردة عن المادة عند من يقول بها من المفكرين فإنما يقولون: إنها متعلقة بالإنسان تعلقاً معنوياً كتعلق العاشق بمعشوقه، ولم يقل أحد منهم: إنها جزء من أجزاء الجسم أو أنها متحدة مع الجسم، ثم إنها إذا انفصلت عن الجسم الإنسانى لا يكون موجوداً فيها ولا تكون موجودة فيه حتماً لأنها مجردة عن المادة وهو مادى، فكيف يعقل أن تكون هى عينه ومتحدة به، وكيف يتحد مع المادى المجرد؟.. ألا ترى معى أن كبوة المبشرين فى تمثيلهم أشد من كبوتهم فى تقرير قاعدة

الثالوث.

على أن هناك أمر آخر خفى على المبشرين فقد ضـــربوا لنا المثل وهم غافلون لاهون لم يتفطنوا إلى ما عـــساه أن يسألوا عنه، وإلا فماذا يكون حالهم إذا قال لهم قائل: ليس فى الوجود إلا أن الإنسان مركب من مادة وغير مـــادة، فأما المادة فهى الجسم وأما غير المادة فهى الروح، ومـــا هى النفس الثالثة التى تكاد تتميز عن هذين الأمرين، هل هى مادة أخرى أو هى مجردة عن المادة فى شكل آخر أم ماذا هى؟.. وبديهى أنهم لا يستطيعون أن يجيبوا عن هذا مطلقاً، لأن الإنسان حقاً إما هو مادى صرف علـــى رأى من يقول: ليس هناك سوى الجسم الإنسانى، وإما هو مادة وروح مجردة على رأى من يقول بـــذلك مـــن فلاســـفة اليونان وبعض فلاسفة المسلمين، وهذا حصر عقلى، أمـــا أن هناك شيئاً آخر غير الجسم وغير الروح يسمى بالنفس فلا، لأنه لابد أن يكون داخلاً فى هذين الأمرين، فـــالنفس إما أن يكون مدلولها مجرداً عن المادة وهى الروح، وإما

أن يكون مدلولها مادياً وهو جزء من الجسم فإنها تطلـــق على الدم وتطلق على مجموع الـــشهوة والغـــضب، فمـــا تخيلوه من أن هناك شيئاً آخر غير الجسم وغير الـــروح خطأ ظاهر يدل على أنهم لا قدم لهم فى الفلـــسفة التـــى يجب على من يكتب فى هذا المقام أن يكون له قدم راسخ فيها، لأن الذى يزعم أنه وصل إلى أن الإله أقانيم ثلاثـــة مجتمعة، وزعم أن هذه الأقانيم أرواح وأنها قد اتحدت لا يصح له أن يجهل الإنسان المشاهد.

النفس عند الإمام أبى العزائم ﷺ:

يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ﷺ فى كتابه (معارج المقربين): ينتج من هذه المقدمات أن النفس ليست جسماً، وتقرر أنها ليست عرضاً، لأن العـــرض لا يحمل عرضاً، ولأن العرض فى نفسه محمول أبداً موجود فى غيره، لا قوام له بذاته، وجوهر النفس قابل أبداً حامل ما هو أتم وأكمل من حمل الأجسام للأعراض.

لهذا يظهر أن النفس ليست جسماً ولا جزءاً من جسم، ولا

عرضاً، هذا والطول والعرض والعمق من المعانى التى صار الجسم بها جسماً، تحصل فى قوة النفس الوهمية من غير أن تصير به طويلة عريضة عميقة وتزداد فيها تلك المعانى أبداً بلا نهاية، فلا تغيرها عن حقيقتها ولا تتغير إذا تصورت كيفيات الجسم من الألوان والطعوم والروائح، ولا يمنع بعضها قبول بعض من أضدادها كما يمنع فى الجسم، وكذلك حالها فى المعقولات، فإنها تقوى بقبول بعض المعقولات على قبول غيرها أبداً بلا نهاية، وتلك الخواص فى غاية البعد عن الأجسام، والجسم لا يعرف العلوم إلا من الحواس، فيشتاق إليها بالملامسة كالشهوات البدنية ومحبة الانتقام، فإن الجسم يشتاق إلى تلك الأشياء، ويزداد بها قوة ويستفيد منها كمالاً، ويفرح بها لأنها تتمم وجوده وتمده.

وأما النفس فإنها كلما تباعدت عن الشهوات البدنية وخلت بذاتها، ازدادت قوة وكمالاً، وتجملت بالعلوم الحقة، والآراء الصحيحة، بذلك يثبت أن طباعها وجوهرها تباين

طباع الجسم والبدن، وأنها أكرم جوهر، هذا مع شوقها إلى معرفة حقائق الأمور الكونية، ولهفها لفهم المعانى الإلهية وإيثارها لها، ولا يمنع من ذلك أنها أخذت كثيراً من مبادئ العلوم عن الحواس، لأن لها من نفسها علوماً أخرى، وأفعالاً لا تأخذها عن الحواس أبداً، وذلك ثابت بديهى خصوصاً فى علوم النظر، وما تكاشف به من أسرار الملكوت والفقه فى دين الله تعالى، وهى التى تحكم على الحس بالصدق أو الكذب فكثيراً ما يشهد الحس الأمور على غير حقيقتها وهى ترده إلى الحق، كما ترى العين الشمس صغيرة، ويرى العامود الموضوع فى الماء معوجاً، ويرى الراكب فى السفينة أنه ساكن، ويرى الأشجار حوله تمشى، كل تلك العلوم من نفسها، وقد يخطئ فيما يراه من بعد أو قرب، وكل الحواس تخطئ وتردها النفس، فقد تذوق حاسة الذوق الحلو مراً عند انحراف المزاج، وكل تلك المعلومات ليست من الحس، بل هى من ذات النفس.

من هذا حكموا أن النفس ليست جسماً، ولا جزء منه، ولا عرضاً، والمراد بالنفس إذا أطلقت النفس الملكية التى تسمى بالناطقة، وإذا أردت أن أعرِّفها فإنما تعرف بما يقرب حقيقتها لا حقيقتها، فأقول: هى جوهرة سماوية روحانية نورانية من أمر ربنا سبحانه وتعالى، ومما قلته فيها:

نفسى هى الكنز فيها سرُّ معناه
بغير كيف وفيها نور مجلاه
جهلى بها الحجب عن علمى بمبدعها
وعلمها كشف حجبى فهم معناه
نفسى مثال تراءى لى به وضحت
آياته وبه أعطيت جدواه
نفسى له صورة تنبى مشاهدها
إذا تحقق أن المبدع الله
جهلى بها اللبس والتشكيك أجمعه
وعلمها الكشف عن غيب وأخفاه

جهلى بها التيه بل والبعد عن نسب
بها يلوح جمال الوجه أجلاه
لو أنها أشرقت نفساً لعالمها
فكت طلاسمه ورقى لعلياه
يا نفس ما أنت؟ نور أنت أم عرض؟
أم كوكب مشرق بضياء مبناه
وهل بك الجسم قد قامت معالمه؟
أو قمت فيه فهذا السرُّ أهواه
حيرت أفكار أهل العقل لم يصلوا
إلى يقين وفيك ضلَّ أهداه
العقل يعقل محسوساً ونسبته
لا يدركن رتبتى والمنعم الله
سرى خفى عن الألباب يحجبها
عنه نظائره فيه وأشباه
من أمر ربى ومن يطلبه يعرفه
فيعرف الله رب العرش مولاه
ونفخةٌ منه تجلى للمراد له

فتشـــهد الوجـــه بالتنـــــزيه عيـــناه
من كان يعـــرفنى بالفضـــل يعـــرفه
أنا المـــثال لـــــه أفـــــقٌ لمـــــرآه

* * *

ولعلك تقول: إن المبشرين لم يصرحوا بالروح المجـــردة عن المادة وإنما يريدون أن يقولوا: إن الإنسان مركب من حقيقة طبيعية وهى الحيوانية والناطقية ويطلق على هـــذه الحقيقة روحاً، ومركب من جسم هو ظاهر، ومركب من شخصية وهى وجوده الخاص ويسميها نفـــساً، فالإنـــسان مركب من هذه الثلاثة وهى وإن كانت متميـــزة إلا أنهـــا موجودة فى شخص واحد فهى ثلاثة فى واحد، وكل واحد منها، متحقق فيه الآخران، فالجسم متحقق فيه الحيوانيـــة، والناطقية متحقق فيها الجسم، والوجود الخاص متحقق فيه كل منهما: وبذلك يسلم تمثيله من هذه المشاكل.

والجواب: إن المبشرين لا يريدون ذلك لأنهم صرحوا بأن الإنسان على مثال الإله باعتبار عقله وروحـــه، وهـــم لا

يقولون: إن روح الإله مادة، فالروح عندهم هى مجـــردة عن المادة كالإله، على أن الحيوانية والناطقية لـــم يطلـــق عليهما أحد اسم روح، وعلى فرض أنهم يريدون ذلك فإنه لا يكون لهم فيه دليلا مطلقاً لا حقيقى ولا تقريبـــى، لأن الحيوانية والناطقية أمور اعتبارية والشخصية صفة، لأنها عبارة عن الوجود الخاص فليس هناك جـــواهر متماثلـــة تكاد تتميز عن بعضها، وإنما هو الجـــسم المكـــون مـــن الخلايا وما يتعلق من الصفات الخاصة أو المشتركة.

ومع ذلك فلنسلم جدلاً أن الإنسان مركب من جسم وروح ونفس وكل واحد من الثلاثة يكاد يتميـــز عـــن صـــاحبه، ولكن كيف يمكننا أن نحكم بأن هذه الثلاثة شئ واحد مـــن غير أن نلاحظ أن الجسم مركب من هـــذه الثلاثـــة، وأن التركيب حدثت منه هيئة هى التى نحكم عليها بأنها واحدة بقطع النظر عن الأجزاء، وهل يصح أن يحكم الإنـــسان بأن الجسم شئ واحد مع ملاحظة العـــروق والأعـــصاب وغيرها من أجزاء الجسم، لا ريب فى أننا إذا نظرنا إلى

هذه الأجزاء لا يسعنا إلا أن نحكم بتعدد الجسم، وذلك بديهى لا نزاع فيه.. فإذا قيل: إن هذه الأشياء جزئيات لا أجزاء، فالنفس والروح والجسم ثلاثة أشخاص متميزة كما هو صريح كلامهم كزيد وعمرو وبكر، قلنا: إن اتحاد هذه الثلاثة بحيث يصير أحدها عين الآخر محال، وهل إذا انفصلت الروح عن الجسم يصح أن يقال: أن الجسم باق فيها وأنها عينه؟.. إن ذلك واضح البطلان.

وتعالوا نروِّح أرواحنا مع حقيقة الإنسان الظاهرة والباطنة بما قاله الإمام المجدد أبو العزائم ﷺ:

هيكلى عالم كبير ونفسى
صورة الحق فى صفائى وأنسى
وفؤادى ما بين عنصر جسمى
ومعانى سرى كميزاب قدسى
برزخ حاجز يلطِّف حالى
وبسرى درى كشفى وشمسى
وأرى القلب عرش سر التجلى

والسويدا قد طهرت من رجس
هيكلى مظهر صغير ولكن
فيه سر لا يشهدن للرأس
فيه كل الوجود يطوى وتجلى
لى المجالى فيه بلا قيد حسى
ضاق كل الوجود علواً وسفلاً
ووسعت العلى وسعة أنسى
عالم القلب كل عالم عالين
وعالم الروح فى حظائر قدسى
كل ما فىِّ من معان وحكم
غيب غيب عن كل ملك وحدس
كل ما فى الوجود سخر فضلاً
لمعان ظهرت بصورة نفسى
قلبى البيت عامر بالمجالى
ظاهرى العرش وهو لوح وكرسى
لوح محفوظه وكرسى جلال

بل وعرش الرحموت فى فهم درسى
هيكلى عالم وعلم ونور
وشفاء من غير كد وبأس
صورته يد العلى تعالى
صورة جملت بحسن وميس
آه! لوفك رمز تلك المبانى
عن معانيه لم أجاور رمسى
يا شموساً بهيكلى
مش

D:\كتب\الوهابية\٠٩doc.

رقات
أبفضل أشرقت أم ذا بحبس
أنت نور وهيكلى من مبان
لست من شكله ولست بجنسى
أنا فى حيرة مشوق معنى
كيف أرأى حمأ يضئ بقدسى
ذاك غيب لو يكشفن سر معناه

للاح الخفا لعقل ونفس

هذا نقض ما قرروه فى عقيدة الثالوث، وما ضربوه من مثال، وبقى نقض قولهم: إن ذلك وإن كان فى ظاهره متناقض ولكن فى الحقيقة هو ليس بخطأ، لأن ذلك فوق العقل، وله نظير عند المسلمين.

هذا الذى يقولوه جهل واضح بالكتب الكلامية التى ألفها علماء المسلمين ولو أنهم كلفوا أنفسهم مؤونة سؤال أهل الذكر، لعرفوا أن الدين الإسلامى أساسه النظر والبرهان العقلى الصحيح، وأن علماء الكلام لم يتركوا شيئاً من الشبه التى قد ترد على الأدلة العقلية إلا أوردوها من تلقاء أنفسهم، وأجابوا عنها بما لا سبيل إلى نقضه على أى حال.

عقيدة المسلمين فى الإله:

والقاعدة العامة عند المسلمين هى: أن كل شئ يمكن للعقول السليمة إدراكه على وجه صحيح فإنه يجب تطبيق قضايا الدين وأحكامه عليه، وأنهم لا يكتفون فى عقائدهم

إلا بالأدلة العقلية والنظر الصحيح، فإذا قرر كتاب الله الكريم عقيدة من العقائد فى ظاهره شئ من الشبه ببعض خلقه، فإنه يجب عدم الأخذ بظاهرها وتنزيه الله تعالى تنزيهاً تاماً عن مماثلته للحوادث، وذلك القدر متفق عليه عند علماء المسلمين.

أما ما لا يمكن للعقول البشرية السليمة جميعها أن تدركه فذلك هو الذى يقول الدين الإسلامى عنه أنه اشتغال بما يضيع الوقت ويضلل العقل بدون جدوى، وذلك كالبحث عن حقائق الأشياء وماهيتها سواء كانت مادية أم مجردة، لأن الإنسان لا يمكنه إلا أن يعرف أجزاء المركبات بتحليلها إلى أجزائها كتحليل الهواء ومعرفة أجزائه، فإذا انتهى إلى جزء لا يمكنه تحليله فإن العقل يقف عنده ولا يعرف حقيقته، وذلك القدر تشترك فيه كل عقول البشر السليمة، وإذا كان العقل الإنسانى يعجز عن إدراك حقيقة المادى، فكذلك يعجز عن إدراك حقيقة المجرد عن المادة، فلا يمكنه أن يدرك حقيقة ذات الإله سبحانه وماهيته على

ما هى عليه من باب أولى.. أما مـــا وراء ذلـــك فـــإنهم مكلفون بإدراكه، فعليهم أن ينظروا ويفكروا فـــى الأدلـــة التى تثبت وجود خالقهم، وعلـــيهم أن يـــدركوا أن ذلـــك الخالق واجب الوجود بمعنى أن وجوده من ذاته فلم يحتج إلى غيره، وأنه واحد من جميع الوجوه فليست ذاته مركبة من أجزاء لا مادية ولا مجردة، وقد تقدم الـــدليل القـــاطع على بطلان تركيب ذاته، وكما أنه يـــستحيل أن تتركـــب ذاته من أجزاء، فكذلك يستحيل أن يكون معه إله آخـــر، لأن الإله واجب الوجود يجـــب أن يكـــون تـــام القـــدرة والسلطان، فلو وجد إلهان لكان ذلك نقصاً طبيعياً فيهمـــا سواء اتفقا أم اختلفا، لأنهما إن اتفقا فإن قـــدرة أحـــدهما وسلطانه ينقصان بقدر ما أثرت فيه القدرة الأخرى، وذلك نقص فى الإله.. وإن اختلفا فقهر أحدهما صـــاحبه، لـــم يكونا إلهين بل يكونا كرجلين يتناضلان فغلـــب أحـــدهما صاحبه وكذلك إن عجزا عن قهر بعضهما فـــإن العجـــز نقص فى الإله فيستحيل عقلاً أن يوجد إلهان.

وكذلك عليهم أن ينزهوا الله سبحانه عن كل ما لا يليـــق به، فيجب عليهم أن يؤمنوا بأنه تعالى ليس كمثله شـــئ، فهو مخالف لخلقه فليس بمادة من المواد وليس له جـــسم ولا يحل فى غيره من المواد، لأن المواد محدودة، فـــإذا حل فيها كحلول الماء فى الكوز أو حلول الماء فى العود الأخضر كان محدوداً، ولا يتحد مع غيره بأن يصير أحد المثلين عين الآخر، لأن المسلمين يؤمنون قبل كل شـــئ بأن الله الواحد من جميع الوجوه هو خـــالق الموجـــودات جميعاً، وكل من عداه فمستمد منه الوجود، فكيف يعقل أن يتحد القديم الأزلى بغيره ممن خلق بأن يصير هو، لا شك فى أن ذلك يترتب عليه أن يكون القديم حادثاً وذلك بديهى البطلان.

وكذلك عليهم أن يؤمنوا بأنه تعالى متصف بكل صـــفات الكمال، ومنزه عن كل صفات النقص، فهو تـــام القـــدرة والإرادة، فلا يعجزه شئ فى الأرض ولا فى السماء، ولا يكرهه أحد على فعل شئ من الأشياء، لأن ذلـــك نقـــص

ينافى عظمة الإله تعالى، وكذلك تام العلم، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء: ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤).

وقد ظن المبشرون أن قول المسلمين بتعدد صفات الله تعالى مع كونهم يوحدون الله تعالى حجة على قولهم: أن التثليث لا ينافى الوحدة، فيقولون: إنه حيث أن العقيدتين معلنتان فى كلام الله لا يمكن أن يكون بينهما تناقض، لأن التوحيد لا ينفى كل نوع من أنواع التعدد، مثال ذلك من المعلوم أن متعدد الصفات يقال: رحيم.. حكيم.. قادر.. عادل.. إلخ. حتى وصفه المسلمون بأنه مجمع الصفات الحسنة، جامع صفات الكمال، لكن تعدد الصفات لا يبطل وحدة الذات، ومثل ذلك تعدد الأقانيم لا يبطل وحدة الجوهر الإلهى.

وكان يكفى أن نسوق قولهم هذا للدلالة على سقوط هذه النظرية سقوطاً بيّناً، لأن البداهة تقضى بالفرق بين تعدد ذوات حقيقة تتحد على بعضها اتحاداً حقيقياً مع بقاء

D:\كتب\الوهابية\٠٩doc.

شخصيتها، وبين تعدد صفات تتعلق بذات واحدة.. ولكنا نؤكد لهم كل التأكيد أن تعدد الجواهر المتميزة عن بعضها بخاصة من الخواص يستلزم عدم اتحادها حتماً- لما قدمناه من الأدلة- فلم يبق لهم مفر عن القول بوجود آلهة ثلاثة إذا كانوا يريدون أن يجروا على سنن العقل والمنطق، لأنه هو الذى يمكن أن يقع، ثم جاء بالدليل على بطلانه، أما اتحاد الذوات فلا يمكن وقوعه فى الوجود أصلاً، فهو باطل من أول الأمر.. فمن قال: إن هذه العقيدة تنافى التوحيد فإنه قال حقاً، يؤيده البرهان بلا خفاء، أما تعدد الصفات فإنه لا ينافى وحدة الذات، فإن الإنسان الواحد مثلاً يتصف بالكرم والشجاعة والعلم والقدرة، ومع ذلك هو لم يتغير، لأن هذه الصفات أمور معنوية قائمة به وتابعة له، وقد يكون متصفاً بصفات مشاهدة كالبياض والسواد ونحوهما، وهى وإن كانت غيره حتماً بحيث إذا لاحظها العقل وحدها يمكن الحكم عليها، ولكنها تابعة له فى الإشارة الحسية، فإذا أشير إلى الإنسان كانت الإشارة إلى صفاته المحسة تبعاً، على أن

المسلمين يقولون: إن ذات الإله واحدة من جميع الجهات وأن صفاته هى عين ذاته، وإنما وصف الإله سبحانه فى كتابه الكريم بالصفات المتعددة من القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام ليرشد العقول البشرية إلى الآثار المترتبة على تلك الصفات، فخلق السموات والأرض وما فيها من عجائب هو أثر لذاته وحدها، وإن كان المعروف لهم أن المقدور أثر للقدرة، وكذلك المعلومات سواء كانت قريبة أو بعيدة، صغيرة أو كبيرة، دقيقة أو جليلة، فهى منكشفة لذاته بدون شئ آخر، ولكن لما كان المعلوم أثراً لصفة العلم، وصف الله نفسه بالعلم، وهكذا.. وبالجملة فكل ما تحسبه العقول البشرية السليمة كمالاً لله تعالى، فيجب أن يوصف به الله تعالى، باعتبار الآثار المترتبة عليه بقطع النظر عن كون هذه الآثار مترتبة على أمر زائد على الذات أو مترتبة على نفس الذات.

فقول المبشرين أن تعدد الصفات عند المسلمين كتعدد

الأقانيم الثلاثة ليس بصحيح على أى حال، لأننا إذا جرينا على رأى من يقول: إن ذات الله تعالى واحدة من جميع الوجوه، وهى وحدها كافية فى ترتيب آثار الصفات عليها فالأمر ظاهر، وإذا جرينا على رأى من يقول: إن هناك صفات حقيقة زائدة على ذاته تعالى، لا هى متصلة بذاته ولا منفصلة، فإنه لا يلزم من تعدد الصفات تعدد الذات قطعاً.

ومن هذا يتضح لك أن المسلمين قد أطلقوا للعقل العنان فى التكلم فى صفات الله سبحانه وتعالى، وأنهم لم يذروا شيئاً من الكلام فى ذات الله وصفاته إلا وقد عرضوه على محك النظر، وبحثوا فيه من جميع جهاته، فما أمكن للعقل أن يصل إليه نتيجة مسلمة فهو ما يجب اعتقاده، وما عجزت عنه العقول البشرية ولم تجد للخوض فيه مجالاً وقفوا عنده، وكلهم مجمعون على تنزيه الإله سبحانه وتعالى عن كل ما لا يليق به، فإن تنزيه الإله لا يرتاب فيه العقل ولا يخفى عليه شئ منه، بل هو ضرورى عند

كل عاقل يعبد إلهاً كاملاً إذ لا يليق بالعاقل أن يتخذ إلهاً معبوداً ناقصاً فى أية جهة من جهاته، لأن المعبود الناقص سواء كان إنساناً أو حجراً أو شمساً أو قمراً أو حيواناً أو غير ذلك ليس أحق بالعبادة من الإنسان الذى يعبده فى الواقع، ونفس الأمر فعار عليه أن يتخذ إلهاً مثله أو دونه، ومن يفعل ذلك فقد برهن على جهة نقص ظاهر فيه، وضعف شديد مستولٍ على نفسه.

ولما كان تنزيه الإله هو الأصل الذى ترجع إليه مباحث المسلمين فى ذات الله وصفاته، كانت كل أدلتهم على ما ذهبوا إليه ترمى إلى هذه الغاية، فإذا وصل الدليل بواحد إلى ما فيه شائبة عدم تنزيه الإله عما لا يليق بعظمته وجلاله، أجمع الكل على نبذ ما دل الدليل عليه من عدم التنزيه.

ومن الغريب أنهم يقولون: إن عقل الإنسان القاصر المحدود لا يستطيع إدراك الخالق الأزلى الذى لا يتميز، أو إدراك ذاته العالية التى لا تحدها بداءة ولا نهاية، وأنه

لا جدال فى أن الإنسان يستيطع أن يعرف بعض الأمور عن الله من غير طريق الوحى، وذلك من معاينة أحوال الخلق ومشاهدة أحوال ذاته، فهم يعرفون أن الله موجود، وأنه متعالٍ عن جميع خليقة يديه مما على الأرض أو فى السماء، وأن حكمته تعالى غير مدركة، وأن المرء لا يستطيع أن يعرف الله بدون وحى كما يعرف الصديق صديقه، والولد أمه، ولكن قد يعلم أن الله حكيم وأن رحمته فوق كل أعماله.

وهذا الكلام الذى يقولون صحيح فى ذاته، لأن عقل الإنسان لا يستطيع أن يدرك حقيقة ذات الله التى لا يمكن للعقول البشرية أن تدركها، ولكن يستطيع أن يدرك أن الله موجود أزلى، منزه عن التركيب من أجزاء مادية، أو مجردة، ومنزه عن الاتحاد بغيره بحيث يصير أحدهما عين الآخر، ومنزه عن الحلول فى غيره، كل ذلك داخل فى دائرة المعقول الذى لا يعجز العاقل عن إدراكه، فواجب عليه أن يؤمن به حقاً، وأن يصدقه تصديقاً جازماً

لا شك فيه ولا ريب، وإلا كان عابداً لإله نـــاقص، فهـــو مستو مع من يعبد الوثن، ومن يعبد البشرية والبقر، فلـــو كان هؤلاء المبشرين ممن يتبعون سنن المنطق فى أقوالهم لكانت مقدمتهم هذه أحسن زاجر لهم عن القول بالأقـــانيم واتحادهم، فإن العقول البشرية السليمة تذعن بـــأن ذلـــك نقص فى ذات الإله، لأنه يستلزم التركيب فى ذاته تعالى، كما يستلزم تعدد الآلهة قطعاً، مهما يتستروا بستار وحـــدة اللاهوت بعد اتحادهم، فإن ذلك الستار شفاف لا يحجـــب العقل عن الإيمان بأن الشخصيات المتعددة المتميزة عـــن بعضها بخاصة الوجود، لا يمكن أن تكون واحـــدة مهمـــا اختلط بعضها ببعض.

أدلـة المبـشرين علـى إثبـات عقيـدة الثـالوث ونقضها :

نصوص الإنجيل والتوراة:

الإنجيل هو الدليل الأول الذى عليه المعول عنـــدهم فهـــم يقولون: إن الدليل على صحة التثليث هو الكتاب المقـــدس

وكفى به دليلاً لأنه صادر من الله، وهو يعرف نفسه أكثر مما نعرفه، وغاية ما نقصده من سرد الأمثلـــة أن نـــدفع الشبه التى يتعرض بها على هذا الموضوع، ونبرهن على أنها صادرة عن سوء فهم، وأن ليس من الصواب رفض كتاب الله لاشتماله على مسائل تفوق عقولنا ونستبد بآرائنا الخصوصية.

ويقولون: إن كل مطلع جيد بالكتاب المقدس يعلم أن عقيدة الثالوث مأخوذة منه بدلالة آيات كثيرة فى غاية الصراحة، وهى التى منها صاغ النصارى نصها- مع اختلاف قليل فى اللفظ- ولكنهم لم يذكروا لنا من هذه الآيات شيئاً حتى نعرف مقدار ذلك الاختلاف، فهل حقيقة ورد فى الإنجيل -سواء كان محرفاً أو صحيحاً- نص يدل علـــى عقيـــدة الثالوث على الوجه الذى بيّناه لك وأقره المبشرون؟.

الواقع أنك ستعرف قريباً أن الأناجيل لا شئ فيها، ومـــع ذلك فقد ذكروا نصين: الأول نقلوه مـــن التـــوراة وهـــو: [اسمع يا اسرائيل الرب إلهنا رب واحد] وهـــذه العبـــارة

مذكورة فى الإصحاح السادس من سفر التثنية آية ٤، وبعد هذه الجملة ما نصه: [فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن نفسك ومن كل قوتك ولتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبك].

أما النص الثانى فقد نقلوه من إنجيل متى وهو: [عمدوهم باسم الأب والابن وروح القدس] وهو فى الإصحاح الثامن والعشرين، وبعد هذه الجملة التى نقلوها من إنجيل متى ما نصه: [وعلموهم جميع ما أوصيتكم به].

هذان النصان هما اللذان استدل المبشرون بهما على الوحدة والثالوث، فالتوراة نصت على أن الله واحد، والإنجيل نص على أنه أب وابن وروح قدس، فتكون ثلاثة.. وهذا تناقض لابد من دفعه، لذلك يجب القول بأن الثلاثة فى الأزل اتحدوا اتحاداً حقيقياً وصاروا واحداً، فلا تناقض، وهل من الضرورى العمل بآية التوراة ما دام الإنجيل يخالفها؟ فلماذا لم يأخذ بآية الإنجيل ويقطع النظر عن آية التوراة كما قطع النظر عن كل ما فيها من

أحكام؟!.

والجواب: أن العمل بها عندهم ضرورى، لأن الإنجيل أخذ بها بنصها، ولهذا قال المبشرون: إن المسيح قد أخذ بهذه الآية كما فى إنجيل مرقص ونصه: [فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله أية وصية هي أول كل شئ* فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد] (مرقس، إصحاح ١٢، آيات ٢٨، ٢٩).

ولا ريب فى أن كل قارئ منصف للتوراة والإنجيل فى هذا الموضوع لا يسعه إلا أن يدهش من الذين يأخذون منهما عقيدة الثالوث، فإن التوراة قد نصت صريحاً على الوحدة المطلقة وكذلك إنجيل مرقس، فإنه عمل بآية التوراة من جميع الوجوه وجعلها أول الوصايا، فلم يبق إلا ما ورد فى إنجيل متى وهو: [عمدوهم باسم الأب والابن وروح القدس] على أنه قال بعد هذه الكلمة: [وعلموهم جميع ما أوصيكم به] ومن أول وصاياه

التوحيد.

أليس من الواجب فى مثل هذه الحالة أن نفهم هذه الآيــة فهما يتناسب مع التوحيد الذى صرح بــه فــى التــوراة والإنجيل تصريحاً قاطعاً؟، نعم الواجب هو ذلك عند كــل عاقل مفكر يعرف عظمة الألوهية ويقدر تنزيه خالقه حق قدره.

ولكن من الأسف الشديد أن جمهور النصارى سواء كانوا كاثوليك أو بروتستانت أو غيرهم يعتقدون أن ذات الإلــه مركبة من الأقانيم الثلاثة على الوجه الذى بيناه.

معنى الجملة الواردة فى إنجيل متى :

على أن الجملة الواردة فى إنجيل متى لا تفيد مطلقاً معنى الثالوث ولا تفيد أن الابن حقيقة مماثلــة لحقيقــة الله ولا روح القدس كذلك، بل المعنى المتبادر منها أنه يقول لهم: عمدوهم باسم الله وباسم رسوله وباسم روح القدس الــذى يحمل الوحى إلى الرسول، وهذا المعنى حسن لا مانع منه

وليس فى العبارة ما ينافيه، بل هو المتبــادر لأن الــذى يجعل التوحيد المطلق من أول وصاياه لا يصح أن يقــول للناس: إن الإله ثلاثة أقانيم متميــزة متحــدة، لأن ذلــك تناقض ظاهر لا يصلحه ذلك التأويل الفاسد الذى لا يقــره عقل ولا نقل.

أما التعبير عن الرسول بالابن فإنه مألوف فــى التــوراة والإنجيل، وهو كناية عن القرب من الله تعالى، فالرسول ابن الله؛ بمعنى أنه مقرب منه ومحبب لديه، ومــن ذلــك إطلاق خليل الرحمن على سيدنا إبراهيم، على أن التوراة والإنجيل قد توسعت فى هذا فأطلقت ابن الله علــى غيــر المسيح أيضاً فى غير موضع، ففى الإصحاح الخامس من إنجيل متى: [طوبى لــصانعي الــسلام لأنهــم أبنــاء الله يدعون]، وفى الإصحاح الثامن من إنجيل يوحنا ما نصه: [أنتم تعملون أعمال أبيكم فقالوا له إننا لم نولد من زنا لنا أب واحد وهو الله]، وغير ذلك من العبارات الدالة علــى أن إطلاق ابن الله على الناس أمر شائع فى أناجيلهم، وقد

أطلق ابن الله فى التوراة أيضاً على الناس فقد ورد فى الإصحاح الثالث والستين من كتاب أشعيا ما نصه: [فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم وإن لم يدرينا إسرائيل أنت يا رب أبونا ولينا منذ الأبد اسمك] الآية ١٦.. فالابن بمعنى الحبيب أو المقرب شائع مستعمل فى التوراة والإنجيل فى الآيات التى ذكرناها لك وفى غيرها، وقد حكى الله عنهم فى القرآن الكريم فى قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ (المائدة: ١٨)، وبديهى أنهم لا يريدون من إطلاق البنوة على غير المسيح، ذلك الذى يريدونه من بنوة المسيح بل لابد أن تكون أبوة الله المذكورة فى مثل هذه الآيات لا معنى لها سوى رحمته بهؤلاء الناس ورأفته بهم، فلماذا اختصوا المسيح بتلك البنوة التى هدموا بها التوحيد من أساسه وهم لا يشعرون؟، ما هو السبب الذى جعلهم يتشبثون بتلك العقيدة المعقدة التى لا أساس لها فى دين الله، ولا فى كتاب من الكتب المنزلة؟.

وقد أجاب المبشرون عن ذلك السؤال بشبه أوهن من بيت العنكبوت، وظنوا أنها أدلة قاطعة فقالوا: [إن المسيحيين فهموا عقيدة الثالوث وهى: أن لذات الله القدوسة ثلاثة أقانيم فى جوهر واحد الأب والابن والروح والقدس].. من مؤلفات النصارى الأولين الذين بقيت كتابتهم إلى عصرنا الحاضر مما يدل على أنهم فهموا الكتاب من هذه الحيثية كما فهمها المبشرون.

ويدل هذا القول دلالة واضحة على أن عقيدة الثالوث لم تصرح بها أناجيلهم، وإنما هم مقلدون أسلافهم فى فهمها، وإن شئت قلت: إنهم مقلدون القانون الإثناسيوسى وكفى بذلك التصريح دليلاً على ضعف هذه العقيدة، وعدم ارتكازها على دليل صحيح، فإن العقائد لا تثبت إلا بالبراهين القاطعة التى تذعن لها العقول، ويجب أن يكون طالب العقيدة حراً فى تكفيره لا يقيد بآراء الغير حتى يطمئن إلى صدق ما يعتقده ويذعن له إذعانا صحيحاً، أما أنه يقلد غيره فى فهم عقيدة من العقائد التى ينبنى عليها

أساس الدين فذاك لا يقال له مؤمن حقاً، نعم يصح لـــه أن يقلد ما يثبت عنده أنه من عند الله بدون بحـــث، إذا كـــان صريحاً فى المطلوب، ولم يكن فيه نقـــص فـــى ذات الله تعالى وإلا وجب تأويله كما ذكر لك آنفاً.

فالمسألة ليست مسألة كتاب مقدس، وإنما مسألة جماعـــة يقررون ما يشاءون، من أجل ذلك خـــرج علـــى عقيـــدة الثالوث هذه كثير من مفكريهم فقالوا: إن لفظة الثالوث لا توجد فى الكتاب المقدس، وأنه لا يمكن أن يؤتى بآية من العهد القديم تصرح بتعاليم الثالوث، ولكـــن قـــد اقتـــبس المؤلفون النصارى القدماء آيات كثيرة تشير إلى وجـــود صورة جماعية فى اللاهوت ولكن لم تكن هـــذه الآيـــات كبرهان قاطع على الثالوث، لأنها قابلة لتفاسير مختلفـــة، ولكن يؤتى بها كرموز إلى الوحى الواضح الذى يعتقدون أنه مذكور فى العهد الجديد.

وفى قولهم هذا نصاً صريحاً على أنه لـــم يوجـــد لفظـــة ثالوث فى الكتاب المقدس عندهم، ولا يمكن أن يؤتى بآية

من العهد القديم تصرح بتعاليم الثالوث، وأن الآيات التـــى اقتبسها المؤلفون النصارى لا تصلح دليلاً.. علـــى أنهـــم أرادوا ستر قولهم هذا فقالوا: إنهم يأتون بها كرموز إلـــى الوحى الواضح الصريح- وليت شعرى إذا كان الـــوحى واضحاً وصريحاً، فكيف لا يكون فيه دليل على المطلب.

على أنهم يقولون: إن الجدال هذا ابتدأ فى اللاهوت فـــى العصر الرسولى، وقد نشأ على الأكثر عن تعليم الفلاسفة الهيلاتيين وأول من استعمل الثالوث ترتليانوس.

وواضح من هذا أنه لم تكن تلك العقيدة موجودة فى عهـــد المسيح، ولا أثر لها فى الوحى الإلهى مطلقاً، وغريب أن يسلموا بأن المسيح لم يقل لهم: إنه إله أو ابن إلـــه، ولـــم يبين لهم هذه العقيدة، ثم يجيبوا عن هذا بأن تعاليم المسيح لم ينشرها كلها حال حياته، بل أخبر تلاميذه بأنه سيكملها لهم بعد وفاته، لأن هذا إن صح فى الأمور الفرعية فإنـــه لا يصح أن يكون فى أول الوصايا، فـــإن معنـــى كـــون التوحيد من أول الوصايا أن ما جاءهم به المـــسيح هـــو

معنى توحيد الإله، وإذا كان كذلك فمن الواجب المحتم أن يبين لهم حقيقة التوحيد، ونظن ذلك ظاهر لا ريب فيه.

ومن أجل ذلك فإن كثيراً من النصارى خرجوا على هذه العقيدة فالأبيونيون كانوا يعتقدون أن المسيح إنسان محض. والسابليون كانوا يعتقدون أن الأب والروح القدس إنما هى صور مختلفة، أعلن الله بها نفسه للناس. والأريوسبون كانوا يعتقدون أن الابن ليس أزلياً كالأب، بل هو مخلوق منه قبل العالم، ولذلك هو دون الأب خاضع له. والمكدونيون أنكروا كون الروح القدس أقنوماً، على أنهم يقولون: إن هذه الآراء اعتبرتها الكنيسة إلحادية.

وأما تعاليم الكنيسة فقد قرره المجمع النيقاوى سنة ٣٢٥ للميلاد، ومجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ وقد حكما بأن الابن والروح القدس مساوياً للأب فى وحدة اللاهوت، وأن الابن قد ولد من الأزل من الأب، وأن الروح القدس منبثق من الأب، وجاء مجمع طليطلة المنعقدة سنة ٥٨٩

حكم بأن الروح القدس منبثق من الابن أيضاً على خلاف فى ذلك.

ومن ذلك يتضح أن المسألة ليست مسألة كتاب مقدس أنزله الله على رسوله، وإنما هى مسألة جماعة يقررون ما يشاءون ويحكمون بما يريدون، وهل مسائل الوحى الذى من عند الله تعالى تفصل فى أمرها المجتمعات كما تفصل فى الأمور السياسية، إن ذلك لمن أوضح الأدلة على أن هذه العقيدة الفاسدة هى من وضع البشر بلا نزاع، على أننا لاحظنا فى بيان عقيدة الثالوث الذى ذكرناه لك فيما مضى رأى مجتمعاتهم وما عليه العمل فى كنائسهم، ومن أجل ذلك قدمنا لك الشرح كاملاً لتعرف الأدلة عليه كاملة، وها أنت ذا قد عرفت أن الدليل الأول وهو الذى عليه المعول فاسد من أساسه لا حجة لهم فيه ولا فائدة لهم، لأن الكتاب المقدس عندهم لا يستطيعون أن يأتوا منه بدليل أو شبه دليل على ما يزعمون، ولقد صدق الأستاذ البوصيرى حيث قال:

خبرونا أهل الكتابين من أيـــ ـــن أتاكم تثليثـــكم والبداء
ما أتـــى بالعقـــيدتين كـــتاب واعتقاد لا نص فيه ادعاء
والدعاوى إن لم تقيموا عليها بيـــنات أبنـــاؤها أدعـــياء

هل كون (باسم) ذكرت بـــصيغة المفـــرد فـــى عبـــارة: [عمدوهم باسم الأب].. إلخ.. دليل على التوحيد؟.

يقول المبشرون: إن جملة إنجيل متى، وهى عمدوهم باسم الأب.. إلخ، تدل على حقيقة التوحيد كما تدل على تثليـــث الأقانيم لأنه قال باسم بصيغة المفرد لا الجمع، مـــع أنـــه ذكر الأقانيم الثلاثة كلا على حدته، ومن هذه العبارة نفهم أنه لا يمكن أن يكون الابن والروح القدس مخلوقين بدليل أنهما مقرونين باسم الأب كشئ واحد بخلاف عدم ملاءمة الاسم نفسه لما يكون مخلوقاً، فإن كلمة ابن الله والـــروح القدس لا يصلح أن يسمى بهما الـــشئ المخلـــوق، فهـــم يريدون أن يقولوا: إن هذه العبارة تـــدل علـــى الثـــالوث ولوجوه من وجهين:

الوجه الأول: أنه قال باسم الأب والابن والروح القـــدس،

فقد قرن الثلاثة ببعضهم وسلط الاسم علـــى الأب فقـــط، وهذا يدل على التماثل التام والتساوى فى الجوهر والقـــدم وكل شئ، فالابن وروح القدس كالأب فى القدم وكل شئ فالابن وروح القدس كالأب فى القدم، ولا يصح أن يكونا مخلوقين، ولو كان الابن وروح القدس مخلـــوقين لقـــال بأسماء الأب والابن وروح القدس لأن تعدد الأسماء يفيـــد تغاير المسميات.

الوجه الثانى: أن اسم ابـــن الله وروح القـــدس لا يـــصح إطلاقهما على المخلوقات أو لايلائمان المخلوقـــات، فـــلا يصح أن يقال: زيداً بن الله ولا روح القدس، وإنما يقـــال ذلك للقديم فقط، فهل يستطيع مفكر أن ينقض هذا البيـــان العجيب الذى جاء به المبشرون لابد أن يكـــون الجـــواب سلباً لأن نقض المنقوض بطبيعته محال.

ونحن نقول لهم: إن اللغة التى يتكلمون بها الآن لا تـــدل على شئ مما يقولون مطلقاً، لأن العطف بالواو يقتـــضى أن المعطوف مشارك للمعطوف عليه فى الحكم فقط لفظاً

ومعنى، فإذا قلت جاء محمد وعلى وموسى، كان معنى ذلك أن علياً وموسى اشتركا مع محمد فى المجئ حقيقة، فكل منهما جاء، ومعلوم أن العطف يقتضى المغايرة أيضاً فلابد أن يكون على غير موسى، فلنطبق هذه القاعدة على ما هنا لنعلم أن الابن وروح القدس يشتركان مع الأب فى طلب التعميد باسمهما، وأن روح القدس والابن غير الأب، ولا فرق فى الاشتراك بين أن يذكر الاسم مفرداً أو جمعاً مضافاً إلى أحدهم فقط، أو إلى كل واحد منهم، ولا دلالة فى العطف على الاشتراك فى الماهية أو اتحاد المعطوف عليه وصيرورتهما شيئاً واحداً، من ذا الذى يفهم من قول أستعين باسم الله والملك والأمير، بأن الملك والأمير متحدان مع الله فى ذاته ومساويان له فى جوهره وأن الثلاثة شئ واحد، أظن أن الذى يفهم ذلك من هذه العبارة يدل على أنه لا يتكلم إلا مع نفسه، وأنه لا يخاطب أحداً من العقلاء، وربما أساء به الظن بعض سامعيه، فأخذ به إلى طبيب يعالج له قواه العقلية، على أننا إذا قطعنا النظر عن كل ما تقتضيه اللغة وقلنا: إن اقتران

المعطوفات يقتضى التماثل التام، فإنه لا يمكننا أن نقول: إن العطف لا يقتضى المغايرة فلابد أن يكون المعطوف عليه فإذا قلنا: جاء زيد وعمر وبكر، فلابد أن يكون كل واحد منهم مغايراً لصاحبه، مهما قلنا بتماثلهم، وإذا كان كذلك فمن أين تأتى الدلالة على اتحاد الأب والابن وروح القدس ببعضهم.

وأما الوجه الثانى، فقد عرفت الرد عليه آنفاً وهو أن التوراة والإنجيل قد سميا المخلوق ابن الله، وذلك المخلوق غير رسول الله، فالرسول أولى بهذه التسمية، وإذا ثبت أن الابن يطلق على المخلوق بدون حرج، فإطلاق روح القدس على المخلوق أقل حرجاً منه بلا ريب، لأن مرتبة الابن لا خلاف فيها عندهم بخلاف روح القدس فإن فيها اختلافاً كبيراً، لأن المجمع النيقاوى قرر أنه منبثق من الأب فقط، ومجمع طليطلة قرر أنه منبثق من الأب والابن معاً، ومع ذلك اختلفت الكنائس فبعضهم يقول: يجب العمل بما قرره المجمع النيقاوى، وبعضهم يوجب

العمل أيضاً بما قرره مجمع طليطلة كما ذكره البستانى فى دائرة المعارف، وذلك الخلاف وحده يوجب الشك فيه على الأقل فتكون مرتبته أضعف من مرتبة الابن، على أنهم قرروا أن الإنسان مماثل لله من جهة عقله وروحه ومن يقرر هذا لا يستنكف أن يطلق روح القدس على الإنسان، وبذلك تعلم أنه لا دليل من الإنجيل على الثالوث مطلقاً، وإنما هو أوضاع الفلسفة الإلحادية التى تحاول أن تدخل على العقول أنه لا تناقض بين الوحدة والتعدد، كما أنها تحاول أن تزخرف للعقول نظرية اتحاد المجرد بالمادى لترجع بكثير من ضعاف التفكير إلى العقائد الوثنية من حيث لا يشعرون.

وإذا قارنا ما يقوله النصارى من اتحاد المسيح بدم مريم، بما قاله الهنود الوثنيون فى كرشنا وبوذا، فقد نجدهما متطابقتان، فالهنود يقولون: إن كرشن هو المخلص والفادى والمعزى وابن الله والأقنوم الثانى من الثالوث المقدس (الأب والابن وروح القدس)، وولد من العذراء

ديفاكى التى اختارها الله والدة لابنه بسبب طهارتها وعفتها.. إلخ، وبمقارنة الذى يقوله الوثنيون وبين النص الذى ذكر فى الإنجيل نجد أنهما متطابقان حرفاً بحرف، ومثل ذلك بوذا، فإنهم قالوا: إنه تجسد بواسطة روح القدس على العذراء مايا وأنه ابن الله.. إلخ.

الرد على أن الله ذكر فى القرآن بصفة الجماعة:

ونرجوا القارئ الكريم ألا يسخر منا فى نقل قولهم هذا فإننا فى حالة اضطرار لأن نشرح للناس كل أدلتهم حتى لا تقوم لهم حجة بأننا تركنا شيئاً.

يقول المبشرون: ومما لا يصح إغفاله أن القرآن يتفق مع الكتاب المقدس فى إسناد الفعل وضمير المتكلم فى صيغة الجمع إلى الله، وأن أمثلة ذلك أقل بكثير فى التوراة عما هى فى القرآن، ومما ورد فى التوراة هذه المواضع (تكوين: ١: ٢٦، ٣: ٢٢، ١١: ٧)، وفى القرآن ما ورد فى سورة العلق وهى عند المسلمين أول ما نزل من

الوحى على سيدنا محمد ﷺ، فقد ورد فى عدد ٨ لفظ الرب اسماً للجلالة، وعدد ١٣ لفظ الله، وكلاً من اللفظين فى صيغة المفرد، ولكن فى عدد ١٨، ورد ضمير الجلالة بصيغة الجمع حيث يقول: ﴿سندع الزبانية﴾.

ويقولون: حيث إن الكتاب المقدس والقرآن يتفقان على هذا الأسلوب من التعبير عن ذات الجلالة بضمير الجمع، وأنهم أوردوا ذلك إشعاراً بأنهم لم يخطئوا إذا اعتبرنا عقيدة التثليث موافقة لإسناد ضمير الجلالة بصيغة الجمع إلى الله فى القرآن.

وهم بقولهم هذا جاهلين جهلاً تاماً بأبسط قواعد اللغة العربية، وتحملهم الجرأة والتعصب لعقيدتهم إلى الحكم على بلاغة القرآن وفصاحته فيتحقق صدق ما وصفناه بهم فى المقدمة.

أما الذى يريدونه من قولهم هذا فهو أن التوراة والإنجيل والقرآن العظيم تارة يعبر فيها عن: ذات الله تعالى بالاسم المفرد كلفظ الله، ولفظ رب، وتارة يعبر عنها بضمير

الجماعة، ولكن التعبير بلفظ الجماعة فى التوراة أقل من التعبير به فى القرآن، وهم يشيرون إلى ما ورد بنون العظمة فى التوراة بالمواضع التى رمز لها بهذه الرموز، ولنبينها بنصها وكلها فى سفر التكوين.

ففى الإصحاح الأول عدد ٢٦ ما نصه: [قال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا]، فقد أعاد ضمير الجماعة، وهو (نا) على الله، وفى الإصحاح الثالث عدد ٢٢، [وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر]، أراد آدم، فقد قال: منا، وهو ضمير الجماعة، وفى الإصحاح الحادى عشر عدد ٧: [هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم]، فقال: ننزل ونبلبل بنون الجماعة.

أما فى القرآن فالأمر ظاهر وقد استدلوا بسورة اقرأ فإن الله سبحانه عبّر عن نفسه فيها بالمفرد تارة فقد قال: ﴿اقرأ باسم ربك﴾، وعبر بنون الجماعة: ﴿فليدع ناديه سندع الزبانية﴾.

وحيث إن القرآن والتوراة والإنجيل اتفقت فى التعبير عن

ذات الإله مرة باللفظ المفرد ومرة بنون الجماعة فليس لذلك معنى عند المبشرين، إلا بأنه يدل على أن الإله ثلاثة فى واحد، أى نعم، يا له من دليل تضرب من أجله أكباد الإبل، وإن شئت قل: يا للعار، فإنه لا يصلح لمن يريد أن يثبت عقيدة دينه بالبراهين القطعية التى تذعن لها عقول الناس، وتطمئن لها قلوبهم بمثل ذلك الخيال الذى لا حقيقة له إلا فى مخيلة صاحبه، ومع ذلك فلنسر معهم حيث يريدون، ونؤكد لهم أن ضمير المتكلم، منه ما هو موضوع للمفرد الذى لا يريد أن يعظم نفسه كقمت وقعدت ونحو ذلك، ومنه ما هو موضوع للمفرد المعظم نفسه كنحن وقمنا وقعدنا إذا كان المتكلم واحداً، ومثل هذا يستعمل فى المتكلم الذى معه غيره فاللغة العربية قد وضعت ضمير المتكلم للمعظم نفسه، ومن ذا الذى أحق باستعمال ضمير العظمة من الخالق سبحانه وتعالى فإذا قال الله تعالى: خلقنا السموات، أو سندع الزبانية، فإن ذلك نون العظمة من غير نزاع وهو معنى لغوى لا يحتاج أحد فى فهمه إلى كبير عناء، ومع ذلك فلنفرض أن ذلك

الضمير للجماعة بخصوصها فإنما يدل على جماعة متعددة متباينة كما إذا قال شخص: قمنا أو قعدنا وكان معه غيره فإنه لا يفهم منه لغة إلا أن المتكلم معه زيد وعمرو وهما غيره، فمن أين يأتى هذا الاتحاد وذلك التركيب المخزى، فإذا قال الإله: نحن وكان معه مثله كانوا ثلاثة آلهة غير متحدين وإذا قال: أنا، كان المتكلم واحداً منهم.

وهل الأوضاع اللغوية يمكن أن يؤخذ منها أن الثلاثة صاروا واحداً فتارة يعود الضمير عليها باعتبار كونها ثلاثة، وتارة يعود عليها باعتبار كونها واحداً كلا وعجيب أن هذا البرهان أخذ به كثير من المفسرين، وأعجب من هذا أن يقول المبشرون: إن تعليل المسلمين بالتعظيم سخيف لا يشفى غليل الباحث فليعذرنى إذا قلت لهم: إن أسخف قول سمعته ذلك القول الذى يستدل به صاحبه على أن معنى نون العظمة هو الثالوث، وما كنت أتصور أن مخلوقاً ينحط به التفكير إلى هذا الحد.

الفصل الثالث

التثليث عند بعض المسلمين

الأمة والتنزيه :

أجمع جمهور الأمة الإسلامية على تنزيه الله تعالى عن مشابهة الحوادث، وقد اتفق العقلاء من أهل السنة الشافعية والحنفية والمالكية وفضلاء الحنابلة وغيرهم على أن الله تبارك وتعالى منزه عن الجهة والجسمية والحد والمكان ومشابهة مخلوقاته.

١) قال أبو المعالي إمام الحرمين في كتابه: «لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة»، الرب سبحانه وتعالى تقدس عن الاختصاص بالجهات والاتصاف بالمحاذاة، لا تحده الأفكار ولا تحويه الأقطار ولا تكتنفه الأقدار، ويجل عن قبول الحد والمقدار، والدليل على ذلك أن كل مختص بجهة شاغل لها، وكل متحيز قابل لملاقاة الجواهر ومفارقتها، وكل ما يقبل الاجتماع والافتراق حادث

كالجواهر.

٢ – قال الإمام أبو جعفر أحمد بن سلامة الطحاوى (٢٢٧– ٣٢٢ هـ) فى عقيدته التى قال فى مقدمتها: هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة: (تعالى– يعنى الله– عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبدعات)، وقال: (ومن وصف الله بمعنى من معانى البشر فقد كفر).

ومعنى قوله: (تعالى)، أى: تنزه الله.

(عن الحدود)، أى: أن الله لا يوصف بالكمية، ليس له كمية لا صغيرة ولا كبيرة لأنه ليس جسماً.

(والغايات)، أى: النهايات، فالذى له نهايات لا يكون إلا مخلوقاً.

(والأركان)، أى: الجوانب، فالله منزه عن ذلك لأن هذا من صفات الأجسام.

(والأعضاء)، أى: الأجزاء الكبيرة كالرأس والرجل

الجارحة، واليد الجارحة.

(والأدوات)، أى: الأجزاء الصغيرة كالأضراس والأسنان واللهاة.

(لا تحويه الجهات الست) والجهات الست هى فوق وتحت، وأمام وخلف، ويمين وشمال، فهذه الجهات لا تحوى الله فهو موجود بلا مكان.

(كسائر المبدعات)، أى: أن الله لا يحويه المكان الذى يحوى المخلوقات، فالله منزه عن مشابهة الخلق، كل كلام الطحاوى هذا يفهم من قوله تعالى:﴿ليس كمثله شئ ﴾.

وأما قوله: (ومن وصف الله بمعنى من معانى البشر فقد كفر) فمعناه أن من وصف الله بصفة من صفات البشر فهو كافر لأنه كذّب القرآن، فيظهر لكل ذى بصيرة أن السلف مع تنزيه الله عن الجوارح والأعضاء، وعن المكان، لأن الله ليس جسماً، ومن حواه مكان يكون جسماً، والجسم مخلوق لا يجوز أن يكون إلهاً، وهذه

عقيدة رسول الله ﷺ، وصحبه والأئمة الذين ساروا على هديه.

٣ – روى أبو نعيم فى الحلية أن الإمام عليّاً بن أبى طالب قال: (من زعم أن إلهنا محدود فقد جهل الخالق المعبود).

وقال الإمام على زين العابدين بن الإمام الحسين فى الصحيفة السجادية: (أنت الله الذى لا يحويه مكان) إتحاف ج٤، ص ٣٨٠.

٤ – قال الإمام أحمد بن حنبل، والإمام ثوبان بن إبراهيم ذو النون المصرى تلميذ الإمام مالك: (مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك).

وهذا معناه: الله ليس شيئاً يتصور فى البال، لأن ما يتصور يكون من المخلوقات، فالله منزه عن الجسم، والمكان، والهيئة، والصورة، والجلوس، والتغير، والاستقرار.

٥ – قال الإمام العز بن عبد السلام: (ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات، كان قبل أن كوَّن المكان ودبّر الزمان، وهو الآن على ما عليه كان) من كتاب طبقات الشافعية الكبرى للتاج السبكى.

٦ – قال الإمام أبو المظفر الإسفراييني في كتاب (التبصير فى الدين) ص ١٤٤: (وأن تعلم أنه لا يجوز عليه الكيفية والكمية والآنية، لأن من لا مثل له لا يمكن أن يقال فيه كيف هو، ومن لا عدد له لا يقال فيه كم هو، ومن لا أول له لا يقال له مم كان، ولا من لا مكان له لا يقال فيه أين كان).

٧ – قال الشيخ الصالح بهاء الدين محمد مهدى الشهير بالرواس فى كتاب (بوارق الحقائق) ص ٤٠٠: (ليس كمثله شئ، ولا هو مثل شئ، لا يحده المقدار، ولا تحويه الأقطار، ولا تحيط به الجهات، ولا تكتنفه السموات).

وهذا معناه: الله لا يشبه شيئاً، موجود بلا مكان؛ لأنه لا حجم له ولا مقدار، لا يسكن السموات ولا يجلس

على العرش.

٨ – قال الإمام أحمد الرفاعى (٥١٢– ٥٧٨ هـ) فى كتابه (البرهان المؤيد) ص ٢٣: (أى سادة، نزهوا الله عن سمات المحدثين وصفات المخلوقين، وطهروا عقائدكم من تفسير معنى الاستواء فى حقه تعالى بالاستقرار كاستواء الأجسام على الأجسام المستلزم للحلول– تعالى الله عن ذلك– وإياكم والقول بالفوقية والسفلية والمكان، واليد والعين بالجارحة، والنزول بالإتيان والانتقال).

٩ – روى مسلم فى صحيحه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار أن النبى ﷺ قال: (اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شئ، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شئ أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شئ، وأنت الآخر فليس بعدك شئ، وأنت الظاهر فليس فوقك شئ، وأنت الباطن فليس دونك شئ، اقض عنا الدين واغننا من الفقر).

قال الحافظ البيهقى فى كتاب (الأسماء والصفات) ص ٤٠٠: [واستدل بعض أصحابنا فى نفى المكان عنه بقول النبى ﷺ: (أنت الظاهر فليس فوقك شئ، وأنت الباطن فليس دونك شئ)، وإذا لم يكن فوقه شئ ولا دونه شئ لم يكن فى مكان].

فهذا إمام من أئمة الحق والهدى قال: إن الله موجود بلا مكان مستدلاً بحديث النبى ﷺ وهو الحق الذى لا محيد عنه.

١٠ – يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم فى كتاب (من جوامع الكلم) ص ٢: (الله تعالى ليس بجسم مصور، ولا جوهر محدود مقدر، وإنه لا يماثل الأجسام، لا فى التقدير، ولا قبول الانقسام، وإنه تعالى ليس بجوهر، ولا تحله الجواهر، ولا بعرض ولا تحله الأعراض، بل لا يماثل موجوداً، ولا يماثله موجود، وليس كمثله شئ، ولا هو مثل شئ).

ويقول ﷺ: (من زعم أن الله فى شئ أو من شئ أو على

شئ فقد أشرك، لأنه لو كان على شئ كان محمولاً، أو فى شئ كان محصوراً، أو من شئ كان محدثاً).

تكفير الأمة باسم التوحيد عند المتمسلفة :

احتار ابن تيمية فى كيفية إدخال التثليث فى عقيدة المسلمين فلم يتمكن إلا من إدخال (الأب، والابن) المتمثلين فى توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية الذى اخترعه ابن تيمية، وزعم أن جميع فرق المسلمين من المتكلمين عبدوا غير الله لجهلهم توحيد الألوهية، ولم يعرفوا من التوحيد إلا توحيد الربوبية، وهو الإقرار بأن الله خالق كل شئ، وزعم أن هذا اعترف به المشركون، فكفر به جميع المسلمين وقلده فيه مؤسس الوهابية كما قلده فيه غيره، والذين تفوقوا على أستاذهم ابن تيمية، ورسخوا عقيدة التثليث الذى عجز هو عن الاتيان بها.

هذا التوحيد لم يطلع عليه العلماء المعاصرون له والمتأخرون عنه الرادون عليه ردا سديدا فى كثير من شواذه، ولو اطلعوا عليه لرشقوه بسهام علومهم الصائبة.

وقد اطلعنا على كلام ابن تيمية فى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية فوجدته مفرقا فى أربعة مواضع فى كتبه، نذكره كله ليراه القارئ ثم نبطله:

(١) فى الجزء الأول من فتاويه ص ٢١٩ فى تفسير قوله ﷺ: (ولا ينفع ذا الجد منك الجد) قال: فبين فى هذا الحديث أصلين عظيمين أحدهما توحيد الربوبية وهو أن لامعطى لما منع الله ولا مانع لما أعطاه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يسأل إلا هو.. والثانى توحيد الألوهية وهو بيان ما ينفع وما لا ينفع، وأنه ليس كل من أعطى مالا أو دنيا أو رئاسة كان ذلك نافعا له عند الله منجيا له من عذابه.

إلى أن قال: وتوحيد الألوهية أن يعبد الله ولا يشرك به شيئا، فيطيعه ويطيع رسله ويفعل ما يحبه ويرضاه، وأما توحيد الربوبية فيدخل ما قدره وقضاه، وإن لم يكن مما أمر به وهو توحيد الألوهية ويستغفر الله على ذلك وهو توحيد له فيقول: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ (الفاتحة:

٥)٠

(٢) قال فى الجزء الثانى من فتاويه ص ٢٧٥: فإن المقصود هنا بيان حال العبد المحض لله تعالى الذى يعبده ويستعينه فيعمل له ويستعينه. ويحقق قوله: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، وإن كانت الألوهية تتضمن الربوبية، والربوبية تستلزم الألوهية فإن أحدهما إذا تضمن الآخر عند الانفراد لم يمنع أن يختص بمعناه عند الاقترن كما فى قوله: ﴿قل أعوذ برب الناس٠٠إلخ ﴾ (سورة الناس)٠ فجمع بين الاسمين، فإن الإله هو المعبود الذى يستحق أن يعبد، والرب هو الذى يربى عبده.

(٣) قال فى الجزء الثانى من منهاج السنة ص ٦٢ بعد ثرثرة ذم فيها جميع فرق المسلمين من المتكلمين فى التوحيد مصرحا بأنهم عبدوا غير الله لجهلهم توحيد الألوهية وإثبات حقائق أسماء الله، ما نصه: فإنهم قصروا عن معرفة الأدلة العقلية التى ذكرها الله فى كتابه فعدلوا

عنها إلى طرق أخرى مبتدعة فيها من الباطل ما لأجله خرجوا عن بعض الحق المشترك بينهم وبين غيرهم، ودخلوا فى بعض الباطل المبتدع، وأخرجوا من التوحيد ما هو منه كتوحيد الألوهية، وإثبات حقائق أسماء الله وصفاته، ولم يعرفوا من التوحيد إلا توحيد الربوبية، وهو الإقرار بأن الله خالق كل شئ، وهذا التوحيد كان يقر به المشركون الذين قال الله عنهم: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ (لقمان: ٢٥)٠

وقال عنهم: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ (يوسف: ١٠٦)٠ فالطائفة من السلف تقول لهم: من خلق السموات والأرض؟ فيقولون: الله٠ ومع ذلك يعبدون غيره، وإنما التوحيد الذى أمر الله به العباد هو توحيد الألوهية المتضمن توحيد الربوبية، بأن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا فيكون الدين كله لله.

(٤) قال فى رسالة أهل الصفا ص ٣٤: توحيد الربوبية وحده لا ينفى الكفر ولا يكفى.

D:\كتب\الوهابية\٠٩doc.

الرد على المكفرين باسم التوحيد

لقد لبَّس ابن تيمية فى تآليفه على العامة وأشباههم من المتفقهة كثيرا بالسلف الصالح والكتاب والسنة، لترويج هواه فى سوقهم، ولكنه فى هذا الكلام صرح بهواه، ولم يلصقه بهما ولا بالسلف، وإننا بحول الله وتوفيقه نكيل له بصاعه الذى لبَّس به على البسطاء كيلا حقيقيا وافيا مبرهنا، فنقول كلامه هذا فى الأربعة مواضع باطل بأحد عشر وجها هى:

الوجه الأول: لم يأمر الله فى كتابه العزيز- الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه- عباده بتوحيد الألوهية، ولم يقل: لهم إن من لم يعرفه لا يعتد بمعرفته لتوحيد الربوبية، بل أمر بكلمة التوحيد مطلقة، قال تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ (محمد: ١٩)٠ وهكذا جميع آيات التوحيد المذكورة فى القرآن مع سورة الإخلاص التى تعدل ثلث القرآن٠ وكان يلزم على الله أن يبين لعباده حقيقة توحيد الألوهية ولا يضلهم ولا يعذبهم على جهلهم

نصف التوحيد، ولا يقول لهم: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ (المائدة: ٣)٠

الوجه الثانى: لم يأت فى سنة النبى ﷺ الواسعة التى هى بيان لكتاب الله عز وجل، أن النبى ﷺ كان يقول لأصحابه ويعلمهم أن التوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وأن من لم يعرف توحيد الألوهية لا يعتد بمعرفته لتوحيد الربوبية، لأن هذا يعرفه المشركون، بل إن كتب السنة طافحة بأن دعوته ﷺ الناس إلى الله كانت إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وخلع عبادة الأوثان، ومن أشهرها حديث معاذ بن جبل لما أرسله النبى ﷺ إلى اليمن فقال له: (ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأخبرهم أن عليهم خمس صلوات فى اليوم والليلة..الحديث)، وكان اللازم على هذيان ابن تيمية أن يقول لمعاذ: ادعهم إلى توحيد الألوهية، لأن توحيد

الربوبية قد عرفوه.

الوجه الثالث: لم يقل أى صحابى من أصحاب النبى ﷺ أن التوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وإنى أتحدى كل من له إلمام بالعلم أن ينقل لنا هذا التقسيم المخترع عنهم ولو برواية واهية.

الوجه الرابع: لم يقل أى واحد من التابعين لأصحابه أن التوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، فلو اجتمع معه الثقلان على إثباته على أى واحد منهم لا يستطيعون.

الوجه الخامس: لم يقل أى واحد من أتباع التابعين لأصحابه أن التوحيد قسمان.

الوجه السادس: لم يقل الإمام أحمد بن حنبل الذى انتسب إليه ابن تيمية كذباً: إن التوحيد قسمان٠ وهذه عقيدة الإمام أحمد مدونة فى مصنفات أتباعه فى مناقبه لابن الجوزى وغيره ليس فيها هذا الهذيان.

الوجه السابع: الإله هو الرب، والرب هو الإله، فهما متلازمان يقع كل منهما فى موضع الآخر، قال تعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم﴾ (البقرة: ٢١)٠ وكان اللازم- على زعمه- حيث كانوا يعرفون توحيد الربوبية أن يقول الله: (اعبدوا إلهكم). وقال تعالى: ﴿ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه﴾ (البقرة: ٢٥٨)٠ وكان اللازم- على زعمه- حيث كان النمروذ يعرف توحيد الربوبية أن يقول: (ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى إلهه)، وقال تعالى: ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ (الأنعام: ١).

وكان اللازم- على زعمه- أن يقول: (ثم الذين كفروا بإلههم يعدلون)، وهو شئ كثير فى القرآن.

الوجه الثامن: زعمه أن المشركين يعرفون توحيد الربوبية غير صحيح فى مشركى العرب وحدهم فضلا عن مشركى جميع الأمم، وقد أخبر الله عنهم فى آيات كثيرة بأنهم أنكروا البعث أشد الإنكار، وأنهم ما يهلكهم إلا الدهر، ولو سلمنا أنهم يقرون بتوحيد الربوبية فإن مجرد

الإقرار به لا يسمى توحيدا عند علماء الإسلام، ولو كان الإقرار بالربوبية توحيدا – كما زعم- لكان تصديق عتاة قريش النبى ﷺ وتكذيبهم بآيات الله تعالى توحيدا، ولا يقول بهذا عاقل.

- أيقول عاقل فى فرعون الذى قال: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ (النازعات: ٢٤)٠ وقال: ﴿يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى﴾ (القصص: ٣٨)، أنه يعرف توحيد الربوبية؟.

- أيقول عاقل فى النمروذ بن كنعان الذى ادعى الربوبية وحاج إبراهيم فى ربه وزعم أنه يحيى ويميت، أنه يعرف توحيد الربوبية؟.

- أيقول عاقل فى الدهريين المنكرين وجود الإله، وفى الثنوية المنكرين وجود إله واحد، وفى الوثنية القائلين بكثرة الأرباب والآلهة، وفى التناسخية، وفى المزدكية، والمخرمية، والبابية، والماركسية، وكل هذه الطوائف الضالة أنها تعرف توحيد الربوبية؟! اللهم رحماك.

الوجه التاسع: حمله قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ (لقمان: ٢٥). الواردة فى المشركين على بعض المسلمين فاسد، ودعواه أن المشركين مع إنكارهم البعث واتخاذهم الأنداد والولد له تعالى يعرفون توحيد الربوبية، تقدم إبطالها. ومعنى الآية عند المفسرين ليسندن خلقها فى الحقيقة ونفس الأمر، أى: الفطرة التى فطر الله الناس عليها، إلى الله تعالى، فلو استظهر بالثقلين على إثبات أنه ﷺ سألهم عن ذلك فأجابوه بالقول لا يستطيع.

الوجه العاشر: حمله قوله تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ (يوسف: ١٠٦). الواردة فى المشركين على بعض المسلمين فاسد أيضا، ومعناها عند المفسرين: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله﴾ فى إقرارهم بوجود الخالق ﴿إلا وهم مشركون﴾، باتخاذهم له أندادا عبدوهم من دونه، أو باتخاذهم الأحبار والرهبان أربابا، أو بقولهم واعتقادهم الولد له سبحانه، أو بقولهم لا شريك لك إلا

شريكا هو لك تملكه وما ملك، أو بغير ذلك.

والتعبير فى جانب شركهم بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والدوام الواقعة حالا لازمة، وفى جانب إيمانهم، أى: إقرارهم، بالجملة الفعلية الدالة على التجدد، دليل على أن شركهم دائم مستمر ملازم لهم، وأن إقرارهم غير دائم ولا مستمر، وإقرارهم بوجود الخالق الرازق المحيى المميت، مع ارتكابهم ما ينافيه مما تقدم من الأقوال والأفعال، دليل على أنه لا يكون توحيدا- كما زعم- ولا إيمانا لا لغة ولا شرعا.

فإن الإيمان لغة هو: التصديق بالقلب مطلقا.

وشرعا: تصديق النبى ﷺ فيما علم مجيئه به بالضرورة.

الوجه الحادى عشر: دل كلامه على أن التوحيد مجزأ إلى ثلاثة أجزاء: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، قال فيه: (وأخرجوا من التوحيد ما هو منه كتوحيد الألوهية، وإثبات حقائق أسماء

الله وصفاته، ولم يعرفوا من التوحيد إلا توحيد الربوبية)، وعلى هذا يكون التوحيد مثلثا، ويلزم منه تثليث الشرك، وعليه فمقتضى عدله تعالى ورحمته لعباده تثليث العذاب والثواب لهم، فيعذبون ثلثى عذاب المشركين الخالصين، ويثابون ثلث ثواب الموحدين الخالصين، لأنهم ارتكبوا ثلثى الشرك بجهلهم توحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وأتوا بثلث التوحيد بمعرفتهم توحيد الربوبية.

وتذبذبه فى تقسيمه التوحيد فى ثلاثة مواضع إلى قسمين، وفى موضع إلا ثلاثة أقسام يدل على جهله بأصول الدين، فإن قيل: ليس هذا تذبذبا وإنما هو تغير فى الاجتهاد ظهر له فى اجتهاده فى تلك المواضع أن التوحيد ينقسم إلى قسمين، وظهر له فى ذلك الموضع أنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام، قلت: هذا فاسد فإن الاجتهاد إنما يكون فى الفروع لا فى الأصول.

ويلزم على كلا التقسيمين أنه لا يوجد فى بنى آدم عامة، وفى المسلمين- سلفهم وخلفهم- خاصة موحد خالص، ولا

مشرك خالص، إلا من وافقه منهم على رأيه، فلو استظهر هو والمفتونون به بالثقلين جميعا على إثبات رأيه هذا عن أى واحد من السلف الذين يلبس بهم لم يستطيعوا.

لأن التوحيد.. لغة: هو الحكم بأن الشئ واحد، والعلم بأنه واحد.

واصطلاحا: هو إفراد العابد المعبود بالعبادة، أى: تخصيصه بها.

التثليث الوهابى :

ما عجز عنه ابن تيمية من إدخال عقيدة التثليث، فى شريعة الإسلام، واكتفى بالأب والابن المتمثلين فى توحيد الألوهية (الأب) وتوحيد الربوبية (الابن) تمكن محمد بن عبد الوهاب وأتباعه من إدخال الروح القدس والمشار إليها بتوحيد الأسماء والصفات.

وبدون إطالة يكفى هذه الفتوى التى جاءت فى كتاب (تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام) لعبد

العزيز بن باز مفتى عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء السابق، الطبعة الأولى بالرياض، دار الفائزين ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م، ص٢٩-٣٤، ونصها ما يلى:

تكثر فى العصر الحاضر البحوث والمؤلفات والمحاضرات فى إثبات وجود الله وتقرير ربوبيته من غير الاستدلال بذلك على لازم ذلك ومقتضاه وهو توحيد الإلهية، وقد ترتب على ذلك: الجهل بتوحيد الإلهية، والتهاون بأمره فحبذا لو ألقيتم الضوء على أهمية توحيد الإلهية من حيث إنه أساس النجاة ومدارها ومفتاح دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، والأصل الذى يبنى عليه غيره؟.

الجواب: لا ريب أن الله- سبحانه- أرسل الرسل وأنزل الكتب لبيان حقه على عباده ودعوتهم إلى إخلاص العبادة له- سبحانه- دون كل ما سواه.. وتخصيصه بجميع عباداتهم؛ لأن أكثر أهل الأرض قد عرفوا أن الله ربهم

وخالقهم ورازقهم، وإنما وقعوا فى الشرك به- سبحانه- بصرف عباداتهم أو بعضها لغيره، جهلاً بذلك وتقليداً لآبائهم وأسلافهم، كما جرى لقوم نوح ومن بعدهم من الأمم، وما جرى لأوائل هذه الأمة، فإن الرسول ﷺ لما دعاهم إلى توحيد الله استنكروا ذلك واستكبروا عن قبوله، وقالوا كما ذكر الله ذلك عنهم: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ (ص: ٥)، وقال عنهم سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّـهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ (الصافات: ٣٦)، وقال عنهم سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٢٣)، والآيات فى هذا المعنى كثيرة، فالواجب على علماء المسلمين وعلى دعاة الهدى أن يوضحوا للناس حقيقة توحيد الألوهية.. والفرق بينه وبين توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات؛ لأن كثيراً من المسلمين يجهل ذلك فضلاً عن غيرهم، وقد كان كفار قريش وغيرهم من العرب وغالب

الأمم يعرفون أن الله خالقهم ورازقهم، ولهذا احتج عليهم سبحانه بذلك؛ لأنه- جل وعلا- وهو المستحق لأن يعبدوه، لكونه خالقهم، ورازقهم، والقادر عليهم من جميع الوجوه، كما قال- سبحانه-: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (الزخرف: ٨٧).

وقال عز وجل: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (العنكبوت: ٦١).

وقال عز وجل آمراً نبيه ﷺ، أن يسألهم عمن يرزقهم: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾، قال سبحانه: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ (يونس: ٣١)، والآيات فى هذا المعنى كثيرة، يحتج عليهم- سبحانه- بما أقروا به من كونه ربهم، وخالقهم، ورازقهم، وخالق السماء والأرض، ومدبر الأمر على ما أنكروه من توحيد العبادة، وبطلان عبادة الأصنام

والأوثان وغيرها من كل ما يعبدون من دون الله.

وهكذا أمر- سبحانه- عباده بأن يؤمنوا بأسمائه وصفاته، وأن ينزهوه عن مشابهة الخلق، فقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٠)، وقال: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (الحشر: ٢٢).. إلى آخر السورة.

وقال عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ (الإخلاص)، وقال عز وجل: ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٢)، وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)، والآيات فى هذا المعنى كثيرة.

وقد أوضح أهل العلم- رحمهم الله- أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية وهو إفراد الله بالعبادة، ويوجب ذلك ويقتضيه، ولهذا احتج الله عليهم بذلك، وهكذا توحيد الأسماء والصفات يستلزم فى تخصيص الله بالعبادة،

وإفراده بها؛ لأنه- سبحانه- هو الكامل فى ذاته، وفى أسمائه وصفاته، وهو المنعم على عباده، فهو المستحق لأن يعبدوه ويطيعوا أوامره وينتهوا عن نواهيه.

وأما توحيد العبادة، فهو يتضمن النوعين، ويشتمل عليهما لمن حقق ذلك واستقام عليه علماً وعملاً.

وقد بسط أهل العلم بيان هذا المعنى فى كتب العقيدة والتفسير، كتفسير ابن جرير، وابن كثير، والبغوى وغيرهم.. وكتاب السنة لعبد الله بن أحمد، وكتاب التوحيد لابن خزيمة، ورد العلامة عثمان بن سعيد الدرامى على بشر المريسى وغيرهم من علماء السلف- رحمهم الله- فى كتبهم.

وممن أجاد فى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم- رحمة الله عليهما- فى كتبهما.

وهكذا أئمة الدعوة الإسلامية فى القرن الثانى عشر وما بعده، كالشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله-

وأبنائه، وتلاميذه، وأتباعهم من أهل السنة.

ومن أحسن ما أُلِّفَ فى ذلك: (فتح المجيد) وأصله تيسير العزيز الحميد الأول للشيخ عبد الرحمن بن حسن- رحمه الله- والثانى للشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ- رحمه الله.

ومن أحسن ما جمع فى ذلك الأجزاء الأولى من الدرر السنية التى جمعها الشيخ العلامة عبد الرحمن بن قاسم- رحمه الله- فإنه جمع فيها فتاوى أئمة الدعوة من آل الشيخ وغيرهم من علماء القرن الثانى عشر وما بعده فى العقيدة والأحكام فأنصح بقراءتها ومراجعتها وغيرها من كتب علماء السنة لما فى ذلك من الفائدة العظيمة.

ومن ذلك مجموعة الرسائل الأولى لأئمة الدعوة من آل الشيخ وغيرهم- رحمهم الله- وردود المشايخ: الشيخ عبد الرحمن بن حسن، والشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن، والشيخ عبد الله أبابطين، والشيخ سليمان بن سحمان، وغيرهم من أئمة الهدى وأنصار التوحيد لما فيها من

الفائدة وإزالة الشبه الكبير، والرد على أهلها، رحمهم الله جميعاً رحمة واسعة وأسكنهم فسيح جناته وجعلنا من أتباعهم بإحسان، ومن ذلك أعداد مجلة البحوث الإسلامية التى تصدرها الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد لما فيها من المقالات العظيمة والفوائد الكثيرة فى العقيدة والأحكام.

ومن ذلك: المجلدات الأولى من الفتاوى والمقالات الصادرة منى فيما يتعلق بالعقيدة وهى مطبوعة بحمد الله، وموجودة بين طلبة العلم.. نفع الله بها.. أ. هـ.

ونلاحظ فى هذه الفتوى التأكيد على:

١) توحيد الألوهية (الأب).

٢) توحيد الربوبية (الابن).

٣) توحيد الأسماء والصفات (الروح القدس).

ولو أردنا أن نؤرخ لدخول التثليث فى عقيدة بعض المسلمين، فلن نجد ذلك قبل القرن الثانى عشر الهجرى

الذى ظهر فيه ابن عبد الوهاب.. والمقصد من إدخال التثليث فى عقيدة المسلمين هو: مساواة المسلمين الموحدين بغيرهم من الأمم الوثنية والنصرانية، مع التأكيد على أن الأمة الإسلامية مشركة ما عدا ابن عبد الوهاب وأتباعه دعاة التثليث.

وهذا التقسيم للتوحيد قامت لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية بالرد عليه فى كتاب كامل من سلسلة: الفتوحات العزمية، رقم (٧) بعنوان: (خطر تقسيم التوحيد على عقيدة المسلمين)، والذى حوى ٣٢ دليلاً على بطلان هذا التقسيم، فليرجع إليه من أراد المزيد.